الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution

حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

jadeednafi3

علم مقاصد السور
وأثره في التدبر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

حولي - شارع [illegible] محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

jadeednafi3

سلسلة أصول تدبر القرآن الكريم (٣)

علم مقاصد السور

وأثره في التدبر

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution

حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

jadeednafi3

كتبه

عبدالمحسن بن زبن المطيري

رئيس قسم التفسير والحديث

بكلية الشريعة – جامعة الكويت

Mob. +965 67644426

jadeednafi3

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فإن من أعظم نعم اللَّه ﷻ على أمة محمد ﷺ نعمة القرآن الكريم؛ كلام اللَّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
Jadednafi3

كتاب جعله لنا شرفًا ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾، والذِّكر هنا بمعنى الشَّرف والرِّفعة والمجد والسُّؤْدَد والعُلُو[1]. وما من شيءٍ يكون بهذه العظمة والمنزلة إلا وله حقوق وواجبات على من أُنزل إليهم.

وواجبات الأُمَّة تجاه هذا القرآن العظيم هي:

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام السيوطي، (٥/ ٦١٧)، دار الفكر، بيروت.

الاستماع والتلاوة والحفظ والتدبُّر والعمل[١]، وأعظم هذه الواجبات هو التدبُّر المُورِّثُ للعمل، كما قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وكما قال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

وقد حاولتُ أن أحصر أهم أبواب التدبُّر فوجدتُ أنها ترجع إلى أصول هي:

دلالات الألفاظ الوضعية، وعلم المناسبات، **وعلم مقاصد السور**، وعلوم اللغة العربية.

فمن أبواب تدبُّر القرآن المُهِمَّة باب (مقاصد السور)، حتى قال الفراهي: «المقصود من معرفة النظام[٢] ليس إلا التدبُّر، فإنه الإقليدُ له»[٣].

وهو بابٌ عظيم يعين على فهم القرآن ومعرفة مقصَد السورة وموضوعها الأهمِّ، وإذا عَرَف القارئ عنوان السورة وموضوعها كان ذلك مدخَلاً كبيرًا لفهم السُّورة ومعرفة معانيها وتدبُّرها، «ومن المعلوم لنا أن كلَّ سورة من القرآن تُعتبر وَحْدةً موضوعيةً مُوَحَّدة، ولها شخصية فريدة خاصة، وتعالج موضوعًا رئيسيًّا، تندرج معه عِدَّة

(١) انظر: مبادئ تدبُّر القرآن الكريم (ص: ٥).
(٢) يقصد بالنظام مقصَد السورة كما في كتابه دلائل النظام.
(٣) دلائل النظام، للفراهي (ص: ٩).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
Jadeedalnafi3

موضوعات جزئية فرعية»[١].

والكثير يَعرِف الإعجازَ اللُّغوي البيانيَّ للقرآن الكريم، ولكنه لا ينتبه للإعجاز المقاصدي لكلِّ سورة، «فإن كنتَ قد أعجبك من القرآن نظامُ تأليفه البياني في القطعة منه، حيث الموضوع واحد بطبيعته؛ فهَلُمَّ إلى النظر في السورة منه حيث الموضوعات شتَّى والظروف متفاوته؛ لترى من هذا النظام ما هو أَدخَلُ في الإعجاب والإعجاز»[٢].

«ولا شكَّ أن البحث في موضوع الوحدة الموضوعية شائقٌ، إلا أنه مَظِنَّةٌ للتكلُّف والقولِ على اللَّه بغير علم، وقد تأخَّرت العناية بهذا الموضوع، ولم تَرِد فيه كتابات موضوعية سوى شذراتٍ متفرقةٍ في كتابات بعضهم.

وهذا الموضوع جديرٌ بالعناية، والكتابات المعاصرة عنه في تزايُد، وهو يفيد الدارسين في جمع الموضوعات التي تحدَّث عنها القرآن الكريم، وكيفية تطرُّقه لها، وكيفية معالجته لكثير من هذه الموضوعات»[٣].

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث في دراسة علم مقاصد السور،

الجديد الناشر للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nashr for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: +965 67644426
jadeednashr

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، لصلاح الخالدي (ص: ٦٤).
(٢) النبأ العظيم، لدراز (ص: ١٣٨).
(٣) المحرر في علوم القرآن، د مساعد الطيار (ص: ٢١٠).

تأصيلاً وتطبيقًا؛ ليعرف القارئ أهمِّية هذا العلم، ويعرفَ الوسائل التي تُعينه على معرفة مقصَد كلِّ سورة؛ لينفَهِقَ له باب التدبُّر الأكبر.

وقد حرَصْتُ على ذكر المبادئ العشرة لهذا العلم، وضمَّنْتُها في التمهيد والباب الأول.

وقد جاءت خُطَّة البحث على النحو التالي:

المقدمة.

التمهيد: التعريف بعلم مقاصد السور(الماهيَّة والتصوُّر):

المبحث الأول: اسم العلم وتعريفه.

المبحث الثاني: المصطلحات القريبة.

المبحث الثالث: موضوع علم مقاصد السُّور.

المبحث الرابع: مسائل هذا العلم.

المبحث الخامس: استمداد هذا العلم.

المبحث السادس: نسبة علم مقاصد السُّور إلى العلوم.

المبحث السابع: بين علم مقاصد السور وعلم مقاصد الشرع.

الفصل الأول: تاريخ هذا العلم وتأصيله (التاريخ والتأصيل):

المبحث الأول: الواضع لهذا العلم.

الجديد الناضم للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: 00966576644436
jadeednafi3

المبحث الثاني: الكتب المؤلفة فيه.

المبحث الثالث: أدلة مشروعيته.

المبحث الرابع: أهمِّية هذا العلم.

المبحث الخامس: ثمرة علم مقاصد السُّور.

الفصل الثاني: الوسائل المعينة على معرفة المقاصد (التطبيق):

المبحث الأول: ضوابط ومعايير معرفة مقصد السورة.

المبحث الثاني: حصر كلام العلماء.

المبحث الثالث: وسائل معرفة مقصد السورة:

Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67641426
jadeednafi3

المطلب الأول: الوسائل المعنوية:

١- صدق الإيمان بالقرآن.

٢- الإخلاص.

٣- الدعاء.

٤- المعايشة وطول التأمل.

المطلب الثاني: الوسائل العملية:

أولا: المسائل النقلية:

١- زمن نزول السورة.

٢- فضائل السورة.

٣- خصائص السورة.

٤- أسباب النزول والأحداث التي نزلت فيها السورة.

٥- أسماء السورة.

ثانيا: المسائل العقلية (الاجتهادية):

١- مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

٢- مطلع السورة.

٣- الكلمات المكررة في السورة.

٤- خاتمة السورة.

٥- مقاطع السورة وموضوعاتها.

بيت النفائس
دار الجديد الناشر للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
Jadeed.nafis

ثم خاتمة البحث، وقائمة المراجع والمحتويات.

واللَّهَ أسأل أن يمدَّنا بمددٍ من عنده، وأن يَزِيدنا من فضله ويعيَننا على طاعته، وأن لا يَكِلَنا إلى أنفسنا، ويجعلَ أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم.

التمهيد

التعريف بعلم مقاصد السور (الماهية والتصور)

المبحث الأول: اسم العلم وتعريفه.

المبحث الثاني: المصطلحات القريبة.

المبحث الثالث: موضوع علم مقاصد السُّور.

المبحث الرابع: مسائل هذا العلم.

المبحث الخامس: استمداد هذا العلم.

المبحث السادس: نسبة علم مقاصد السُّور إلى العلوم.

المبحث السابع: بين علم مقاصد السُّور وعلم مقاصد الشرع.

AL-Jadeed AL-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المبحث الأول

اسم العلم وتعريفه

«مقاصد السور» عَلَم على هذا العلم، وهو مُرَكَّبٌ من كلمتين: «مقاصد- السُّور»:

والمقاصد جمع مَقصَد، وهو لغةً:

«(ق ص د): قَصَدتُ الشَّيءَ ولَه وإلَيْه قَصْدًا، مِن بابِ ضَرَبَ: طَلَبْتُه بِعَيْنِه.

وإلَيْه قَصْدِي ومَقْصَدِي بفتح الصَّاد، واسمُ المَكَانِ بكسرها: نحوُ مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ»[(١)]، فـ«مَقصَد بفتح الصَّاد هو مصدر ميميٌّ لـ قَصَد»[(٢)]، «والمقصَد ما يُطلَب من حقٍّ وغيرِه»[(٣)]، و«مقصَد الكلام: مدلولُه ومضمونُه»[(٤)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) المصباح المنير (٢/ ٥٠٤).

(٢) معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار، (١/ ٧٢١)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار (٢/ ١٤٠٨)، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.

(٤) المرجع السابق، (٢/ ١٦١٧).

إذن، فالمَقصَد - بفتح الصاد- المَطْلَب ومضمون الكلام والمقصود منه.

والمقصِد - بكسر الصاد- المكان المقصود.

ومقصَد بفتح الصاد هو مجال بحثنا.

والسُّور جمع سورة وهي:

لغةً: «سُمِّيت بذلك لِأَنَّها يرتَفِع فيها من منزِلة إلى منزِلة كسُورة البِناء، كما قال الشاعر:

ألم ترَ أنَّ اللَّه أعطاك سُورةً ترى كُلَّ مَلِكٍ دُونَها يَتذَبذَبُ
فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعتْ لم يَبدُ منهنَّ كوكَبُ

أي: منزِلَة شرفٍ ارتَفَعت إليها عن منازِل المُلُوك.

وقيل: سُمِّيت بذلك لشَرَفِها وارتفاعِها، كما يُقال لِمَا ارتَفَع من الأرض: «سُور».

وقيل: سُمِّيت بذلك لِأَنَّها قِطعة من القُرآن على حِدةٍ، من قَول العَرَب للبقيَّة: «سُؤْر»، وجاءَني سائرُ النَّاس، أي: بقاياهم أيضًا.

فعلى هذا يكون الأصلُ «سُؤْرَة» بالهَمْز، ثمَّ خُفِّفَت فأُبدِلت واوًا لِانضمام ما قبلَها.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٥
Mob: +965 67644426
aljadednafi3

وقيل: سُمِّيَت بذلك لِتَمامِها وكمالِها، مِن قَولِ العَرَب للنَّاقة التَّامَّة: سُورة[١].

وشرعًا: السورة: «قرآن يشتمل على آيٍ، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلُّها ثلاث آيات»[٢]، ولو قُيِّد بوجود اسم لها لكان أفضل، كما قال الزمزمي في منظومته:

والسُّورة الطائفة المترجمة ثلاثُ آيٍ لأقلِّها سِمَة[٣]

فالأَوْلى في تعريف السورة أن يُقال: آياتٌ من القرآن الكريم، أقلُّها ثلاث، لها بدايةٌ وخاتمة واسم.

ولكن جرت عادةُ العلماء على عدم التدقيق في تعريف الأمور التي لا يخفى تصوُّرها.

وأما تعريف العلم بلقبه المُرَكَّب من الكلمتَينِ (مقاصد السور) فهو كما يقول الإمام البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«علمٌ يُعرف منه مقاصدُ السُّور»[٤]، وهذا التعريف فيه دَوْر.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe' for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

---

(١) البيان في عدِّ آي القرآن، للإمام عثمان الداني (ت: ٤٤٤هـ)، (ص: ١٢٤).
(٢) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم (ص: ٤١).
(٣) انظر: منظومة الزمزمي (ص: ٨)، البيت (رقم: ١٣).
(٤) مصاعد النظر للبقاعي (١/ ١٥٥).

وقيل: مَقصَد السورة هو: «المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسةُ التي تَدُور عليها سورةٌ معيَّنة»[١]، وهذا تعريفٌ لموضوعات السُّورة وليس لمقصَدها.

وقيل: «بناء السُّورة الكريمة من سُوَر القرآن الكريم يتناول في معظمه موضوعًا واحدًا، تقوم السُّورة الكريمة على بيانه والإلحاح عليه من أوَّلها إلى آخرها»[٢]. وهذا التعريف أقرب، ولكنْ فيه طُول.

و«يمكن أن نُحدِّد مَقصَد السُّورة بأنه: مَغزَى السورة الذي ترجع إليه معاني السُّورة ومضمونُها.

وإذا تبيَّن هذا فيُمكن أن نُعرِّف علم مقاصد السُّور بأنه: عِلمٌ يُعرَف به مغزى السُّورة الجامعُ لمعانيها ومضمونها»[٣].

ولو قيل بأن مَقصَد السُّورة: «هو الموضوع الرئيسي للسُّورة»؛ لكان أوضحَ وأوجز.

* * * * *

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) انظر: مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٢٣).
(٢) مقدمة تفسير الماتريدي، لمحقق التفسير د. مجدي باسلوم (١/ ٢٣٤).
(٣) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٣).

المبحث الثاني
المصطلحات القريبة

اشتُهِر هذا العلم باسم علم «مقاصد السور»، وله أسماءٌ أخرى ذكَرَها بعضُ العلماء والباحثين، ومما وقفتُ عليه في ذلك:

١- مغزى السورة.

٢- غرض السورة[(١)].

٣- التفسير الموضوعي للسورة القرآنية[(٢)].

٤- الوحدة الموضوعية للسُّورة[(٣)].

٥- الموضوع الرئيسي أو العامّ.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شرع المثنى - مجمع البذري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) انظر: أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، للدكتور محمد إبراهيم الحمد.

(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د صلاح عبدالفتاح الخالدي (ص: ٦٤)، دار النفائس، الأردن، ط٣، ٢٠١٢م.

(٣) انظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٦- عمود السورة[١].

٧- نظام السورة: كما يُسمِّيه بذلك الفراهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (دلائل النظام).

٨- شخصية السُّورة[٢]: يقول صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكلِّ سورة من سُوره **شخصيةً مميزة!** شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روحٍ حيٍّ مُمَيَّزِ الملامح والسمات والأنفاس! ولها **موضوع رئيسي** أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جوٌّ خاصٌّ يُظَلِّل موضوعاتِها كلَّها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانبَ معينةٍ، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو»[٣].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

ويقول في مقدمة سورة الأعراف: «وهذه القضية الكبيرة! إن كلَّ سُورة من سُوَر القرآن ذات **شخصية متفرِّدة**، وذات ملامح متميِّزة، وذات منهج خاصٍّ، وذات أسلوب معيَّن، وذات مجال متخصِّص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة. إنها كلَّها

---

(١) دلائل النظام للفراهي (ص: ٧٧).

(٢) مفاتيح للتعامل مع القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص: ١٥٠).

(٣) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب (١/ ٢٨).

تتجمَّع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتِها المستقلَّةَ، وطرائقَها المتميِّزةَ، ومجالَها المتخصِّصَ في علاج هذا الموضوع، وتحقيقِ هذه الغاية.

إن الشأن في سُورِ القرآن- من هذه الوجهة- كالشأن في نماذج البشر التي جعلها اللَّه متميِّزة.. كلهم إنسان، وكلهم له خصائصُ الإنسانية، وكلُّهم له التكوين العضوي والوظيفي الإنساني.. ولكنهم بعد ذلك نماذجُ مُنَوَّعة أشدَّ التنويع... هكذا عُدتُ أتصوَّر سُورَ القرآن. وهكذا عُدتُ أُحِسُّها، وهكذا عدتُ أتعامل معها. بعد طُولِ الصحبة، وطول الأُلفة، وطول التعامل مع كلٍّ منها..»[1]، وشخصية السورة وخصائصها أخص من مقصدها، وهي ملامحها العامة التي تميزها.

٩- «وقد يُعَبَّر عنه بسياق السورة

١٠- والوحدة السِّياقية للسُّورة

١١- وعُمْدة السُّورة

١٢- وهدف السُّورة

١٣- ومحور السُّورة

١٤- ومضمون السُّورة

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٢٤٣).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

١٥- ومدار السُّورة

١٦- وفلَك السُّورة

١٧- وجوُّ السُّورة

١٨- وروح السُّورة»[١].

١٩- **الخريطة الذهنية:** بعض المعاصرين يكتب عنوان «الخرائط الذهنية للسُّورة»، وهي عبارة عن آلية فكرية لحَصْر تشعُّب الموضوع وربطها بأصل واحد[٢]، ولبعض علمائنا تحفُّظ على ذلك[٣].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe' for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٥).

(٢) انظر: الخارطة الذهنية للقرآن الكريم لتيسير الفهم والحفظ، د شايع الشايع، مكتبة آفاق، الكويت، ط١، ٢٠١٢م، والخارطة الذهنية للقرآن الكريم للدكتور إبراهيم الدويش، والخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم لصفية السحيباني وغيرهم.

(٣) انظر فتوى العلامة الشيخ عبدالرحمن البراك في ذلك في موقعه.

المبحث الثالث

موضوع علم مقاصد السُّور

موضوع علم المقاصد هو سور القرآن كما هو ظاهر من العنوان «مقاصد السُّور»، فهو علم مختصٌّ بكلام اللَّه سبحانه ومعرفة مَقصَدِ كلِّ سُورةٍ وهدفها الأكبر.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «موضوعه آيات السُّور، كل سورة على حِيَالها»[1].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. 965 67644426
jadeednafi3

(١) مصاعد النظر، (١/ ١٥٥).

المبحث الرابع
مسائل هذا العلم

في تقديري أن مسائل هذا العلم ترجع إلى ثلاثة أصول:

١- التعريف بهذا العلم وتوضيح ماهيَّته وكمال تصوُّره.

٢- بيان تاريخ هذا العلم وتأصيله وأدلة مشروعيته.

٣- بيان الوسائل التطبيقية لاستخراج موضوع السُّورة وأنواعها.

وبناءً عليه تم تقسيم هذا البحث إلى هذه الأصول الثلاثة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المبحث الخامس
استمداد هذا العلم

علم مقاصد السُّور يستمدُّ مادته من عدَّة علوم، وهي:

١- علم المناسَبات في القرآن الكريم، وهو أوثق العلوم اتِّصالاً بعلم المقاصد، حتى إن بعض العلماء يجعلها في باب واحد.

٢- علم التفسير.

٣- علم أسباب النزول.

٤- علوم القرآن.

٥- اللغة العربية وعلومها من بلاغة ونحوها.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

* * * * *

المبحث السادس
نسبةُ علم مقاصد السُّور إلى العلوم

علم مقاصد السُّور هو من علوم القرآن.

المبحث السابع
بين علم مقاصد السور وعلم مقاصد الشرع

مما قد يُشكل في فهم البعض التفريق بين مقاصد السور ومقاصد الشريعة[١]، ولتجلية الأمر وتوضيحه أفردتُ هذا المبحث، فمن تحرير المصطلح تمييزُه عن غيره.

فعلم مقاصد الشريعة أو علم المقاصد هو لقبٌ لعِلم من علوم الشريعة المختصَّةِ ببيان مقاصد الشارع في الأحكام، وهو ألْصَقُ بعلم الفقه وأصوله، والإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ هو حامل راية هذا العلم وأحدُ أكبر رُوَّاده، وقد ألَّف في ذلك كتابه العظيم (الموافقات)، وتتابع العلماء بعده في التأليف بهذا العلم لا سيَّما علماء المغرب العربي.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed An-Nafie for Publication and Distribution
Mob. 965 67644426
jadeednafi3

وقد عرّف العلماء علم المقاصد بأنه:

«المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال الشريعة أو معظمها»[٢]، وقيل: «هي الغايات والأسرار التي وضعها الشارع عند

---

(١) وقد شاركت في مؤتمر بعنوان «مقاصد القرآن» فإذا هو حديث كله عن مقاصد الشريعة، فكلمت رئيس المؤتمر في ذلك فقال: هما واحد!

(٢) مقاصد الشريعة لابن عاشور (ص: ٥١).

كل حكم من أحكامها»[١]، والتعاريف الأخرى قريبة من هذه التعريفات، والملاحظ فيها الاتِّفاق على قضية عموم المقصد بحيث لا يشمل قضية جزئية، واختصاصه بالأحكام التكليفية.

وبهذا يتَّضح أن بين مقاصد السور ومقاصد الشرع عمومًا وخصوصًا من وجه:

فعلم مقاصد الشريعة أعمُّ من جهة أخذه للمقاصد من عمومات الكتاب والسُّنة، ولا يقتصر على سورة واحدة من القرآن في ذلك.

بينما **مقاصد السُّور يبحث في السُّورة الواحدة فقط**، ولا يبحث في السُّنَّة أيضًا.

الجديد الناقع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
كويتي - عشارم المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وعلم مقاصد السور أعم من جهة أن مقصد السورة قد يكون عامًّا في جميع أمور الدِّين، سواء العملية أو الخبرية، في الدنيا أو الآخرة، بينما **علم مقاصد الشريعة مختصٌّ في البحث بمقاصد أحكام المكلَّفين العملية**.

وقد يتقاطع علم مقاصد السُّور مع علم المقاصد إذا كان مقصَد السُّورة هو أحدَ مقاصد الشرع العملية.

ومن الفروق بينهما أيضًا أن **علم مقاصد السُّور مُستمَدٌّ من علوم القرآن**

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، للفاسي (ص: ٣).

كالتفسير وأسباب النزول وعلم المناسبات، بينما **علم مقاصد الشريعة مُستمَدٌّ من علم الفقه وأصول الفقه** والقواعد الفقهية والنظريات الفقهية، فهذه **ثلاثة فروق رئيسية**.

وإذا أُطلق علم المقاصد من غير إضافةٍ، فالمقصود به علم مقاصد الشريعة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

الفصل الأول

تاريخ هذا العلم وتأصيله

المبحث الأول: الواضع لهذا العلم.

المبحث الثاني: الكتب المؤلَّفة فيه.

المبحث الثالث: أدلة مشروعيته.

المبحث الرابع: فضل علم مقاصد السُّور.

المبحث الخامس: أهمِّية هذا العلم.

المبحث السادس: ثمرة علم مقاصد السُّور.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: +965 67644426
jadeednafi3

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المبحث الأول
الواضع لهذا العلم

علم مقاصد السُّور موجودٌ منذ نزول القرآن الكريم - كما سيأتي ذلك في حديث القرآن عن المقاصد-، وفي السُّنة - كما سيأتي - إشارات لذلك، وفي عصر الصحابة ﷺ كانوا يصفون بعض السُّور ويذكرون لها مَقْصَدًا عامًّا، وإن لم يذكروا لفظ المقصد تحديدًا، «وذلك شأن جميع العلوم؛ فإن العلوم كانت ممارَسة عند السَّلف، لكن لم تكن التسميةُ موجودة»[(١)]، وسأفرده في مبحث خاصٍّ إن شاء اللَّه.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426

وقد اعتنى العلماء بمعرفة مقاصد القرآن جملةً، وألَّفوا في ذلك المؤلَّفات الكثيرة: فيقولون مثلًا: غاية القرآن الهداية، أو إسعاد البشرية.

والكثير من العلماء ينصُّون على أن مقاصد القرآن جُملةً ثلاثةٌ، وهي: إثبات التوحيد، وإثبات النبوَّات، وإثبات المَعاد، وقلَّما تخلو سورةٌ من هذه القضايا الثلاث، وألَّف الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «إرشاد الثِّقات إلى اتِّفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات».

---

(١) مقاصد السور، للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٢٢).

ويقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فصل فوائد القرآن وتدبُّره مبيناً مقاصد القرآن الستة: «فليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشه ومعاده، وأقربَ إلى نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالةِ التأمُّل فيه، وجمْعِ الفِكر على معاني آياته، فإنها تُطْلِعُ العبدَ على معالم الخيرِ والشرِّ بحذافيرهما...» إلى أن قال-: «وبالجملة تُعَرِّفُه[١] الربَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قَدِم عليه، وتُعَرِّفه في مقابل ذلك ثلاثةً أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريقَ الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه سِتَّة أُمور ضروريٌّ للعبد معرفتُها، ومشاهدتها ومطالَعتُها»[٢].

وقال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً مقاصد القرآن التي تجمعها الفاتحة: «مقاصد القرآن سِتَّةٌ، ثلاثة مُهِمَّة وثلاثة مُتِمَّة:

الأولى: تعريف المدعو إليه كما أُشير إليه بصدرها[٣]، وتعريف الصراط المستقيم وقد صَرَّح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة[٤] كما أُشير إليه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾،

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob.: +965 67644426
Jadeednafi3

(١) الضمير يعود على آيات القرآن.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٥٠).
(٣) يعني سورة الفاتحة.
(٤) وقد اتفق هو وابن القيم في هذه الثلاثة.

والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أُشير إليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وحكاية أقوال الجاحدين وقد أُشير إليها بـ ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وتعريف منازل الطريق كما أُشير إليه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾»[(١)].

ويقول ابن جُزَيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدِّمة تفسيره: «فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوةُ الخلق إلى عبادة اللَّه وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصَد يقتضي أمرين لا بدَّ منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدهما: بيان العبادة التي دُعِيَ الخلقُ إليها.

والأخرى: ذكر بواعث تبعثُهم على الدخول فيها وتُردِّدهم إليها.

فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين، وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال.

وأما البواعث عليها فأمران وهما: الترغيب والترهيب[(٢)].

وأما على التفصيل فاعلم أنّ معانيَ القرآن سبعة: هي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص...»[(٣)].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ١٤١).

(٢) إذن فمقاصد القرآن جملة عنده هي أربعة: بيان أصول العقائد وأحكام الأعمال والترغيب والترهيب.

(٣) تفسير التسهيل لابن جزي (١/ ١٤).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في الإتقان: «العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة:

١- علم الأصول، ومداره على معرفة اللَّه وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ومعرفة النبوَّات وإليه الإشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

٢- وعلم العبادات، وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

٣- وعلم السُّلوك وهو عَمَلُ النفس على الآداب الشرعية، والانقياد لربِّ البريَّة، وإليه الإشارة بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe' for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٤- وعلم القَصَص، وهو الِاطِّلاع على أخبار الأمم السَّالفة والقرون الماضية؛ ليعلم المُطَّلِع على ذلك سعادةَ من أطاع اللَّه، وشقاوةَ من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فنبَّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن»[1].

و«قيل: مقاصد القرآن أربعة:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (٣/ ٣٦١).

توحيده تعالى، ونفي عبادة غيره، والأحكام، وأحوال المعاد، وهي مشتملة على الثاني، و رُدَّ بأنها مُشتمِلةٌ على الأوَّل أيضًا، فكان ينبغي أن تكون نِصفًا.

وقيل: مقاصده: صفاته تعالى، والنبوات، والأحكام، والمواعظ»[١].

وألَّف أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب «المصطلحات الأربعة في القرآن» حيث يقول: « (الإله والربُّ والدِّين والعبادة)، هذه الكلمات الأربع أساسُ المصطلح القرآني وقِوامُه، والقطب الذي تدور حوله دعوة القرآن؛ فجِماع ما يدعو إليه القرآن الكريم هو..»[٢]، ثم بدأ يفصِّل في شرح هذه المصطلحات الأربعة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafea

وبعضهم اعتنى بمقاصد السُّور المكِّية والسُّور المدنية[٣]؛ وهذا يُذكَر كثيرًا عند المؤلِّفين في علوم القرآن.

بل اعتنى بعض العلماء بمقصَد السَّبع الطِّوال والمِئين والمثاني والمُفَصَّل.

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٤٠٥)، دار صادر بيروت.

(٢) المصطلحات الأربعة في القرآن، لأبي الأعلى المودودي، ص: ٣، تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) انظر: دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط٢، ١٩٩٩م.

وبعضهم اعتنى بما هو أخصُّ من ذلك، مثل سُوَر الحواميم: ويسمِّيها بعض الصحابة (آل حم)[١] وهي السُّور التي تبدأ بـ(حم).

و«في عجائب الكرماني: إنما سُمِّيت السُّوَر السَّبع «حم» على الاشتراك في الاسم لما بينَهُنَّ من التَّشاكُل الذي اختصَّت به، وهو أن كلَّ واحدة منها استفتحت بالكتاب، أو صفة الكتاب، مع تقارب المقادير في الطُّول والقِصَر، وتشاكُلِ الكلام في النظام»[٢].

وبيان مَقصَد السُّورتين المتجاورتَين يتناوله العُلَماء في علم المناسبات بصورة كبيرة، كما في كتاب «نظم الدرر» للبقاعي، و«تناسق الدرر في تناسب السور» للسيوطي.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
Jadeednafi3

والحديث عن موضوعات سورةٍ معيَّنة، لبيان معنى مقطعٍ معيَّن من الآيات ودلالته ومَقصَده لا يختلف فيه أحد، بل يتَّفِق الجميع على وجود مجموعة من الآيات تتحدَّث عن موضوع واحد، وهذا النوع أخصُّ من مَقصَد السُّورة.

---

(١) انظر: البخاري: (كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القرآن، رقم ٥٠٤٣)، ومسلم: (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذِّ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، رقم ٨٢٢)، وفي رواية أخرى للبخاري: (وآخرهنَّ الحواميم): كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٩٩٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (٣/ ٣٦٩).

وبالجملة فاهتمام العلماء ببيان مقاصد القرآن كثير جدًّا ولا يكاد يختلف عليه أحد، سواء كان الاهتمام بعموم مَقصَد القرآن، أو بمقاصد السُّور المدينة أو المكِّية، أو مَقصَد سُوَرٍ مُعَيَّنة كالحواميم، أو مَقصَد السُّورتَينِ المُتجاوِرتَينِ، أو مَقصَد آيات معيَّنة.

ولم يبق في هذا العِقد إلا الاهتمامُ بمقصَد سورة كاملة، وهو موضوعنا.

ومن هنا كان السَّعي في بيان مَقصَد السُّورة الواحدة ليس ببدعٍ من القول، بل إكمال لما بدأ به هؤلاء الأئمَّة الأعلام، وتتميم لهذا التناسق التام.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

ومن أوَّل من نصَّ على مصطلح (مَقصَد السورة) الإمام أبو الزبير الغرناطي رَحِمَهُ اللَّهُ -المتوفى سنة ٧٠٨هـ- في كتابه (ملاك التأويل) و(البرهان في تناسُب سُور القرآن)، فهو يقول في أثناء حديثه عن سورة القمر مثلاً: «سورة القمر بأسرها مقصودُها تذكيرُ كُفَّار العرب من قريشٍ وغيرهم بما نزل بمن تقدَّمهم من مُكَذِّبي الأُمَم»[(١)].

ثم استخدم هذا المصطلح العلماء بعده كالسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، وجاء بعد ذلك الفيروزابادي فأكثرَ من استخدامه في «بصائر ذوي

(١) ملاك التأويل (٢/ ١٠٥٤)، البرهان (ص٢٣٠).

التمييز»، غير أنه يَعني بمقصَد السورة ما تضمَّنَته من موضوعات، دون تحديدٍ للمقصَد الرئيسي للسُّورة.

ولكن يُعَدُّ الإمام البقاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - المتوفى سنة ٨٨٥هـ - هو المُنظِّرَ الحقيقيَّ لمصطلح «مقاصِد السُّور» في كتابه «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور»، فقد وصل إلى مَقصَد السُّورة بأُسُس منهجية اتَّبعها وبيَّنها، وبعد ممارسة عملية في تفسيره «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، والبقاعي بيَّن في مقدِّمته للكتاب[١] أن «كلَّ سورة لها مَقصَد واحدٌ يُدار عليه أولها وآخرها، ويُستدلُّ عليه فيها، فترتب المقدِّمات الدالَّة عليه على أتقنِ وجهٍ، وأبدعِ نهجٍ، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استُدِلَّ عليه، وهكذا في دليل الدليل، وهلُمَّ جرًّا. فإذا وصل الأمرُ إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهجٍ آخر بديع، ومرقًى غير الأوَّل منيع»[٢].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafe3

* * * * *

(١) مصاعد النظر (١/ ١٥٥).

(٢) من مقال الكتب المؤلفة في مقاصد السور، للشيخ د عبد الرحمن بن معاضة الشهري، في موقعه على الشبكة.

المبحث الثاني
الكتب المؤلَّفة فيه

الكتب المؤلَّفة في علم المقاصد على أنواع:

أولًا: كتب علوم القرآن التي نبَّهت على هذا العلم وأهمِّيته، وذكرت بعض المؤلفات فيه، مثل:

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي في «النوع الثاني والستون في مناسبة الآيات».

٢- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح.

٣- الأصلان في علوم القرآن، لمحمد القيعي، فقد ذكر في الموضوع الثالث عشر: مقاصد السُّور، ثم سرد جميع سُور القرآن ومَقصَد كلِّ سُورة[١].

٤- المحرَّر في علوم القرآن، للدكتور مساعد الطيار.

٥- المقدِّمات الأساسية في علوم القرآن، لعبد اللَّه بن يوسف الجديع.

---

(١) انظر: الأصلان في علوم القرآن لمحمد القيعي (ص: ٢٣٨).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع القدس - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadednafi3

وغالب المؤلَّفات المعاصرة في علوم القرآن تُفرد له بحثًا.

ثانياً: كتب التفسير التي اهتمَّت بذكر مقاصد السُّور في مَطلِع تفسير كلِّ سورة، وهي:

١- التفسير المنير للزحيلي.

٢- الموسوعة القرآنية، لجعفر شرف الدين[(١)].

٣- الفيروزابادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز».

٤- وأبو حيَّان الغرناطي في تفسيره.

٥- والبقاعي في «نظم الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّور»، وقد التزم البقاعي أن يذكر مَقصَد السُّورة، ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها وما بعدها من السُّور.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٦- تفسير تبصير الرحمن وتيسير المنان، للمخدوم المهائمي[(٢)].

٧- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير».

٨- الشيخ محمود شلتوت في تفسيره.

٩- سيِّد قطب في كتابه «في ظلال القرآن».

---

(١) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) ذكره المحقق لكتاب دلائل النظام للفراهي في المقدمة (ص: ٣)، ولم أقف عليه.

١٠- سعيد حوَّى في كتابه «الأساس في التفسير».

١١- الشيخ عبد الحميد محمود طهماز في كتابه الرائع «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم»[١].

١٢- الصابوني في «صفوة التفاسير».

١٣- التفسير الموضوعي لسُور القرآن الكريم، وهي موسوعة شارك فيها عدد كبير من الباحثين بإشراف أ.د. مصطفى مسلم حفظه اللَّه.

١٤- المختصر في التفسير من إصدارات مركز تفسير، قبل أن يبدأ بتفسير السُّورة يقدِّم بذكر مَقصَدها.

١٥- تفسير المدينة المنورة[٢].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) وقد كان المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب في مقصد كلِّ سورة على حِدة ويطبعها مثل:

أ- الإسلام للَّه في السورة البقرة.

ب- التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران.

ت- حقوق الإنسان في سورة النساء.

ث- الحلال والحرام في سورة المائدة.

ج- المواجهة والتثبُّت في سورة الإسراء.

ح- العواصم من الفتن في سورة الكهف، وهكذا حتى مرَّ على سُور القرآن، ثم جمعت في هذا الكتاب.

(٢) تأليف نخبة من العلماء، نشر مركز تعظيم القرآن الكريم في المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٦هـ.

ثالثاً: الكتب التي اختصَّت بهذا العلم إمّا تأصيلاً أو تطبيقًا، وهي:

١- البرهان في مناسبة سُور القرآن لابن الزبير الغرناطي.

٢- والإمام السيوطي في كتابه «معترك الأقران في إعجاز القرآن» بذكر وجوه إعجاز العلم بالمقاصد وتناسب الآيات والسُّور.

٣- أغراض السُّور في تفسير التحرير والتنوير، لمحمد إبراهيم الحمد[(١)].

٤- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور، للإمام البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٥- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، للدكتور عبد اللَّه شحاته رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)].

٦- نُبذٌ من مقاصد الكتاب العزيز، للعزِّ بن عبدالسلام رَحِمَهُ اللَّهُ»[(٤)].

---

(١) طبعته إدارة الثقافة في وزارة الأوقاف الكويتية، من غير ذكر دار نشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٢) مكتبة المعارف بالرياض.

(٣) نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) وقد حققه وعلق عليه أيمن عبدالرزاق الشوا، ونشره المحقق عام ١٤١٦هـ، وهذا الكتاب ليس كتابًا مستقلاً للعز بن عبدالسلام، وإنما هو جزء ختم به المؤلف كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)، وهو كتاب بلاغي قلَّ التنبُّه لهذا =

٧- دلائل النظام للفراهي، ألَّف هذا الكتاب لإقامة الحُجَّة على وجود النظام (أي: الوحدة الموضوعية) في كلِّ سورة من سُور القرآن الكريم، وبيان الطُّرق التي تهدي إلى نظام السورة.

٨- النَّبأ العظيم، للشيخ محمد عبداللَّه دراز.

٩- الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، د محمد محمود حجازي[(١)].

١٠- النَّظم الفنِّي في القرآن، لعبد المتعال الجبري.

١١- مقاصد السُّور وأثره ذلك في فهم التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ[(٢)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

= الباب ضمن طيَّاته، رأى المحقق فائدة إفراده بالنشر ففعل. وقد نقل أكثر مسائل هذا الكتاب العلماءُ الذين جاؤوا بعد العز بن عبدالسلام كابن القيِّم في (بدائع الفوائد) وناقش كثيرًا من مسائله، وكالزركشي في (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، و(الإتقان في علوم القرآن). فمادته موجودة في هذه الكتب وغيرها. وأكثر كلام العز بن عبدالسلام في قواعد التفسير، ومقاصد السور، ورأيه في المناسبات بين السور، والاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن= موجود في كتابه هذا، وهو كتاب نفيسٌ جدير بالدراسة والعناية لمكانة مؤلِّفه وتقدُّمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت٦٦٠هـ)،(من مقال الكتب المؤلَّفة في مقاصد السُّور، للشيخ د عبد الرحمن بن مُعاضة الشهري، في موقعه على الشبكة).

(١) طبعته دار الكتب الحديثة، القاهرة.

(٢) مقاصد السُّور وأثر ذلك في فهم التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ، الرياض، =

١٢- قبسٌ من نور القرآن الكريم: دراسة تحليلية موسَّعة بأهداف ومقاصد السُّور الكريمة، لمحمد علي الصابوني.

وهناك بعض الكتب اهتمَّت بإبراز مَقصَد سُورة من السُّور، مثل:

١- الصِّراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، لعادل أبو العلاء.

٢- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، لمحمود غريب[١].

وهذا النوع كثير في كتابات المعاصرين لا سيَّما في الدراسات العليا.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

= مطبوع عام ٢٠١٠م، ولا يوجد على الكتاب اسم الناشر، وهو موجود في مكتبة الحرم المدني، رقم: (٢١٢,٢ ش م ي).

(١) دار التراث العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث

أدلة مشروعيته

الأدلة على مشروعيَّة هذا العلم كثيرة، فمن ذلك:

أوَّلاً: من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]: والكتاب الذي لا ريبَ فيه لا يكون مشتَّتَ الجُمَل غير مترابط المعاني، بل ترجع معانيه إلى أصل عام.

٢- قوله تعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨]: ومن الاستقامة في الكلام أن يكون له مَقصَدٌ واضح، ويجري في مضمارٍ محدَّدِ المعالم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]: ومن الاختلاف أن تأتي السورة مختلِفةَ المعاني غير مترابِطة المضامين، ومثل هذا لا يُقبل في كلام البشر، فكيف بكلام ربِّ البشر سبحانه؟!

٤- «من أعظم دلائل مقاصد السور أن كتاب اللَّه مُحْكَمٌ كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]،

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
jadeednafi3

ولا شكَّ أنَّ من إحكامه تقسيمَه على هذه السُّور والآيات، وهذه السُّور على معانٍ ومبانٍ منتظمة، فهو كالكَوْن في نظامه وانتظامه، وكل شيء في الكون له حكمة أرادها اللَّه، والقرآن أعظم إحكامًا من الكون، كيف وهو كلام اللَّه تعالى الحكيم الخبير»[(١)].

٥- «القَوْل من غير غاية وعمود ونظام أدلُّ على سخافة القائل، فقال - تعالى - في ذمِّ الشُّعَراء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٥- ٢٢٦]، هل الهيمان في كلِّ وادٍ إلَّا الجَرَيان في القَول من غير مَقصَد ونظام!»[(٢)]، فكيف يَصِف البعض القرآن الكريم بما يُذَمُّ به الشعر؟!

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: 965 67644424
jadeednafi3

٦- حديث القرآن عن مَقصَد السورة:

فالكثير من سور القرآن يأتي النصُّ في أولها صريحًا أو كالصريح بذكر مَقصَد السُّورة، مثل:

أ- سورة مريم: مطلعها ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، ثم مجملُ الحديث عن الرحمة وآثارها، وتكرَّر لفظ الرحمة والرحمن أكثر من عشرين مرَّةً في السورة.

---

(١) علم مقاصد السور، للربيعة (ص: ١١).

(٢) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، ط. الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، ١٣٨٨هـ، (ص ٢٠، ٢١).

ب- سورة القيامة: مطلعها ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ثم مجملُ الآيات في الحديث عن القيامة وأحوالها[١].

ج- سورة الواقعة: مطلعها ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ [الواقعة: ١-٧]، ومقصدها ظاهر في بيان أحوال الناس الثلاثة يوم القيامة[٢]، وهكذا استمرَّت في تفصيل أقسام الناس الثلاثة إلى آخر السورة.

وغير ذلك من السُّور.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi' Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - عمارة الدرة - ص.ب ٢٤٠٠٠
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٧- مطلع كثير من السُّور التي فيها التنبيه والإشارة على مقصَد السورة:

أ- سورة الممتحنة: مطلعها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾، ومقصدها في أحكام الولاء والبراء.

ب- سورة ق: مطلعها ذكر شبهة الكفار ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾، ثم بقيَّة السُّورة في الردِّ على شبهة إنكار البعث وبيان أدلة وقوعه العقلية وصُورته الحقيقية.

---

(١) انظر: مقاصد السور للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٤٢).

(٢) انظر: مقاصد السور (ص: ٤٥).

ت- الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وكل السُّورة تتحدَّث عن أسباب شرح الصدور(١).

وغير ذلك من السور.

ثانيًا: ما جاء في السُّنة في الإشارة إلى مقصَد السُّور، مثل:

١- المُعَوِّذَتان: عن ابن عابس الجُهنيّ أخبر أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «يا ابن عابس، ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المُتَعَوِّذون؟» قال: قلت: بلى. فقال رسول اللَّه ﷺ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، هاتين السُّورتين»(٢).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. 00965 67344416
jadeednafi3

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه السُّورة - أي سورة الناس - مشتملة على الاستعاذة من الشرِّ الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلِّها، وهو الشرُّ الداخل في الإنسان، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فـ(سورة الفلق) تضمَّنت الاستعاذة من الشرِّ الذي هو ظلم الغير له بالسِّحر والحسد، وهو شرٌّ من خارج.

---

(١) وقد كتبت مقالاً عن الأسباب العشرة لشرح الصدر من سورة الشرح، في كتاب مجالس تدبُّر القرآن الكريم الذي صدر من الهيئة العالمية لتدبُّر القرآن الكريم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٢٩٧) وصحَّحه الشيخ الأرناؤوط.

(وسورة الناس) تضمَّنت الاستعاذة من الشرِّ الذي هو سبب ظلم العبد نفسَه، وهو شرٌّ من داخل.

فالشرُّ الأول: لا يدخل تحت التكليف ولا يُطلب منه الكفُّ عنه؛ لأنه ليس من كسبه.

والشرُّ الثاني: في سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي، فهذا شرُّ المعائب، والأول شرُّ المصائب، والشرُّ كلّه يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما، فـ(سورة الفلق) تتضمَّن الاستعاذة من شرِّ المصيبات، و(سورة الناس) تتضمَّن الاستعاذة من شرِّ العيوب التي أصلُها كلها الوسوسة»(١).

٢- سورة الفاتحة: عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «ما أُنْزِلَت في التَّوْراةِ، ولا في الإنجيلِ والزَّبُورِ والقُرآنِ مِثلُها - يعني أُمَّ القُرآنِ - وإنَّهَا لَسَبْعٌ مِنَ المَثَانِي والقُرآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ»(٢) وفي رواية: «الحمد للَّه أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبع المثاني»(٣)، وبيان مقصَدها ظاهر، فهي أمُّ القرآن وأمُّ الكتاب والقرآن العظيم،

(١) بدائع الفوائد: (٢/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم: ٣٤١٦، وحسَّنه المحقِّق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٩٧٩٠).

فهي السورة الجامعة لأصول معاني القرآن.

٣- سورة الكهف: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَن حَفِظ عشرَ آيات من أوَّل سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال»[(١)]، وقد تحدَّثت السُّورة عن الفتن التي تُواجه الإنسان كثيرًا، وهي فتنة الدِّين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة المنصِب.

فلما كانت شاملةً لبيان الفتن والمخرَج منها، ذكر النبيُّ ﷺ أنها تقي من الفتنة الكبرى فتنة الدجال.

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يَنظُر إلى يوم القيامة كأنه رأيَ عينٍ فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»[(٢)]، وفي هذا الحديث بيانٌ ظاهر لمقصد هذه السُّور في وصف يوم القيامة.

٥- سورة الإخلاص: عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe' Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، (رقم: ٨٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب التفسير، باب من سورة إذا الشمس كورت، (رقم: ٣٣٣٣)، وصحَّحه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٠) والشيخ الألباني.

أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سَلُوه لأيِّ شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النبيُّ ﷺ: «أخبِروه أن اللَّه يُحبُّه»(١)، فهذا الصحابي الجليل انتبه إلى مقصَدها وأنه في وصفِ الرحمن، وأقرَّه النبي ﷺ على ذلك، بل أخبره أن اللَّه أحبَّه بسببها.

٦- سورة الكافرون: ومن أصرح الأحاديث في بيان مقصد السورة حديث فروة بن نوفل عن أبيه أن النبي ﷺ قال لنوفل: «اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك»(٢).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution

ثالثًا: ما جاء عن الصحابة في ذكر مقصد السورة، ومنها:

حولي - شارع المثنى - مجمع الدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

١- تقدَّم حديث الصحابي الذي عرف مقصد سورة الإخلاص.

٢- «الأنفال: قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: سورة الأنفال، قال: تلك سورة بدر.

jadeednafi3

٣- التوبة: عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قلت لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد اللَّه، رقم: ٧٣٧٥، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو اللَّه أحد، (رقم: ٨١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في أبواب النوم، باب ما يقول عند النوم (٥٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

سورة التوبة، قال: التوبة! بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل «ومنهم».. «ومنهم»، حتى ظنُّوا أن لا يبقى منا أحدٌ إلا ذُكِر.

وعن أبي راشد الحبرانيِّ قال: وافيتُ المقدادَ بنَ الأسود فارسَ رسول اللَّه ﷺ جالسًا على تابوت من توابيت الصيارفة بِحمصَ، قد فَضَل عنها من عِظَمِه، يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر اللَّه إليك! فقال: أبَتْ علينا «سورة البُحُوث»: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾»[1].

«ورُوِي عن ابن عبَّاس أنه سُئِل عن هذه السُّورة، فقال: هي الفاضِحة؛ ما زال يَنزِل قولُه ﷻ: ومِنْهُم، ومِنْهُم، حتَّى ظَننَّا أنَّه لا يَتْرُك مِنَّا أحدًا.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: +965 67644426
jadeednafi3

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٦٨)، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، وقال أبو فهر محمود شاكر رحمه الله: في المطبوعة: «البعوث»، وأثبت ما في المخطوطة، وهو الموافق لرواية هذا الأثر في المراجع التي سأذكرها. و «البحوث»: منهم من يقولها بضم الباء، جمع «بحث»، سمِّيت بذلك لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم، أي: استثارتها وفتَّشت عنها.
وقد قال ابن الأثير: إنه رأى في «الفائق» للزمخشري «البَحُوث» بفتح الباء، ومطبوعة الفائق، لا ضبط فيها. ثم قال ابن الأثير: «فإن صحَّت، فهي فعول، من أبنية المبالغة»، أما الزمخشري فقال: «سورة البحوث: هي سورة التوبة، لما فيها من البحث عن المنافقين وكشف أسرارهم، وتسمى المبعثرة...» اهـ وقد كان قال قبل ذلك تعليقًا على تسمية التوبة بالبعوث: وأنا في شكٍّ منه شديد؛ لأني لم أجد من سمَّى سورة التوبة سورة البعوث، بل أجمعوا على تسميتها سورة البحوث.

وقال حُذَيفة بن اليمان: هي سُورة العَذاب.

ومن المَعرُوف أنَّها تُسمَّى سُورة البُحُوث، ومن أسمائها: المبعثرة، ومن أسمائها: المُنيرة، ومن أسمائها: الحافرة؛ لِأنَّها حفرت عن قُلُوب المُنافِقِين.

وروى النقَّاش عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا تُسمَّى المُقَشْقِشَة.

وعن عمرانَ بن حُدير أنَّه قال: قَرَأتُ هذه السُّورة على أعرابِيٍّ، فقال: هذه السُّورة أظنُّها آخرَ ما أُنزلت، فقلتُ لَه: ولم؟ فقال: أَرَى عهودًا تُنبذ، وعُقُودًا تُنقَض»[(١)].

٤- سورة الحشر: قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سورة الحشر، قال: قل سورة النضير.

٥- سورة القيامة: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من شاء أن يُبصر يوم القيامة فليقرأ سورة القيامة، وإنما قيامة أحدكم موتُه[(٢)].

٦- سورة الليل: أورد السيوطي في الدر المنثور قال: «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إني لَأقول هذه السُّورة نزلت في

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٨٤).

(٢) تفسير التستري (ص: ١٨٢)، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

السماحة والبخل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾»[١].

٧- سورة النَّصر: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنها أَجَلُ رسول اللَّه نُعِيَ إليه. كما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخِلُني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَد في نفسه، فقال: لم تُدخِل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه ممَّن قد علمتُم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئيتُ أنه دعاني فيهم يومئذٍ إلا ليُرِيَهُم.

فقال: ما تقولون في قول اللَّه عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١ - ٢] حتى ختم السورة؟

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution

فقال بعضهم: أُمِرنا أن نَحمَد اللَّه ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسول اللَّه ﷺ أَعلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فذلك علامة أَجَلِك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلَّا ما تقول»[٢].

Mob. +965 67644426
jadeednafi3

---

(١) «الدر المنثور» (٦/ ٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي برقم (٣٦٢٧)، وكتاب التفسير برقم ٤٢٩٤).

رابعًا: ما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين في ذكر اسم آخر للسُّورة ملاحظٌ فيه مقصَدُها:

فالمائدة: تُسمَّى العقود، وغافر: تُسمَّى المؤمن، والجاثية: تُسمَّى الشريعة، سورة محمد: تُسمَّى القتال، وسورة النصر: تُسمَّى سورة التوديع؛ لما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ، وسورة الإخلاص: تُسمَّى الأساس؛ لاشتمالها على توحيد اللَّه وهو أساس الدين، والفلق والناس: يقال لهما المعوِّذتان[١].

خامسًا: حديث التابعين عن مقاصد السُّور:

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: 965 67614426
jadeednafi3

١- «التوبة: قال سفيان بن عيينة: هذه السُّورة نزلت في المنافقين.

٢- النحل: ورد عن قتادة وعلي بن زيد والكلبي أنهم قالوا: سورة النحل هي سورة النِّعَم، لكثرة تعداد النِّعم فيها»[٢].

٣- سورة الزُّمر: روِيَ عن وهب بن منبِّه أنه قال: مَن أَحَبَّ أن يعرِف قضاء اللَّه في خلقه فليقرأ سورةَ الغُرَف[٣].

---

(١) ذكر الإمام السيوطي كل ما قيل في أسماء السور في كتابه الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٨٦)، وقد انتقيت منها ما كان يلاحظ فيه مقصد السورة.

(٢) زاد المسير (٤/ ٤٢٥-٤٢٦)، الدر المنثور (٥/ ١٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٤/ ٣٤٣)، تحقيق عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤- سورة الواقعة: عن مسروق قال: من أراد أن يتعلَّم نبأ الأوَّلين والآخِرين، ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار، ونبأ الدُّنيا ونبأ الآخرة؛ فليقرأ سورة الواقعة(١).

٥- سورة التكاثر: ذكر القرطبي أن: «عن عمرو بن دينار حلف أن هذه السُّورة نزلت في التُّجَّار»(٢).

سادسًا: الأدلَّة العقلية:

١- من الأدلة كونُ القرآن مقسمًا على سُور منفصلة كلٌّ منها لها مضمون خاصٌّ يختلف من سورة لأخرى، وبداية ونهاية، وذلك مع كونه مُحْكَمًا في لفظه ومعناه، فهذا فيه إشارة إلى أن لكلِّ سورة مقصَدًا اقتضى الإحكامُ تخصيصهَا به، ويؤكِّد ذلك أن اللَّه تعالى لم يتحدَّ الكافرين بأقلَّ من سورة؛ لأنها معجزة بتمامها وكمالها، فـ«تعريف السُّورة بهذه الكلمة (سورة) يعني أنها بمثابة سُور يحيط بموضوع معيَّن، وهذا يعني أن كلَّ سورة ذات محور يدور حوله موضوعها أو مواضيعها»(٣).

لذلك عندما عرَّف ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ السُّورة قال: «السُّورة قطعة من

---

(١) تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، (٩/ ١٩٩)، تحقيق ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ١٤٢٢هـ.

(٢) أحكام القرآن (٢٠/ ١٦٩).

(٣) بيان النظم في القرآن الكريم (ص١٠).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

القرآن مُعَيَّنَةٌ بمبدأ ونهاية، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تامٍّ ترتكز عليه معاني آيات تلك السُّورة»[١].

(ويؤكِّد انتظامَ السُّورة على مقصَدٍ معيَّن يجمع آياتها ومعانيَها أن اللَّه تعالى قد تحدَّى العرب بسُورِ القرآن في ثلاثة مواضع، ولولا أن هذه السُّورة مبنيَّةٌ بناءً مُحْكَمًا في لفظها ومعناها لما نصَّ عليها في التحدِّي، فهذا التحدِّي دالٌّ على كمال هذه السورة من جميع الوجوه، ومن أعظمها: انتظامُها في مقصَدٍ واحد مع تفاوُتِ موضوعاتها وقصصِها، ولا يقلُّ انتظامها من جهة المعنى عن انتظامها من جهة اللفظ، بل هما متلازِمان؛ إذ إن بناءَ اللفظ في الكلام مبنيٌّ على المعنى)[٢].

٢- أسماء السُّور توقيفيَّة على الراجح[٣]، وأثر هذا الاسم في معرفة

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ١٦٣).

(٣) ثبت أن النبي ﷺ سَمَّى الكثير من سور القرآن، كالفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف، واختلف العلماء: هل أسماء سُور القرآن الكريم كلها ثابتةٌ عن النبي ﷺ، أم أن بعضها ثبت اجتهادًا عن الصحابة ﷺ؟، فذهب أكثر العلماء إلى أن أسماء سور القرآن كلَّها توقيفية عن النبي ﷺ، قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِسُوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول اللَّه ﷺ» [جامع البيان١/ ١٠٠]، وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ثبتت جميع أسماء السُّور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبيَّنت ذلك».[الإتقان ١/ ١٤٨]، وقال الشيخ سليمان البجيرمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أسماء السُّور بتوقيف من النبيّ ﷺ؛ لأن أسماء السُّور وترتيبها وترتيب الآيات كل =

مقصَد السُّور - كما سيأتي- يدلُّ على أن الشارع جعل هذه الأسماء للدَّلالة على مقصَد السورة، فكون كلِّ سُورة من سُوَر القرآن لها اسمٌ خاصٌّ بها يشير إلى المعاني التي تضمَّنَتها، مع كون أسماء السُّور القرآنية توقيفيَّة - على قول الجمهور-، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السَّنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كلِّ سورة مُترجِمٌ عن مقصودها؛ لأن اسم كلِّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مُسمَّاه الدالِّ إجمالاً على تفصيل ما فيه»(١).

٣- افتراق القرآن المدنيِّ عن المكيِّ في القضايا التي يعرضها ويناقشها من أعظم الدلائل على اعتبار المقاصد للسُّور القرآنية.

٤- «تكرار القصص في السُّور: من أعظم دلائل مقاصد السُّور تكرُّرُ قصص القرآن في السُّور، بما يُنبئ أن كلَّ موضع دالٌّ على غرض مبنيّ

= من هذه الثلاثة بتوقيف من النبيّ ﷺ، أخبره جبريل عليه السلام بأنها هكذا في اللوح المحفوظ». [تحفة الحبيب على شرح الخطيب ٢/ ١٦٣]، وقال العلامة الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما أسماء السُّور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة» [التحرير والتنوير ١/ ٨٨]، وهذا ما اختاره بعض المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن، مثل الدكتور فهد الرومي في «دراسات في علوم القرآن» (ص/ ١١٨)، والدكتور إبراهيم الهويمل في بحث «المختصر في أسماء السور» في «مجلة جامعة الإمام» (ع٣٠، ص١٣٥).

(١) نظم الدرر، (١/ ١٤٢).

على غرض السُّورة، وهذا من أعظم دلائل إعجاز القرآن، حيث تتكرَّر القصة بأغراض مختلفة، مع اختلاف التعبير والأسلوب بحسب الغرض الذي سِيقت من أجله»[(١)]، وقال البقاعي في كتابه مصاعد النظر مؤكِّدًا ذلك: «ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغيَّر نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدَّلالة على ذلك المقصد»[(٢)].

٥- تقسيم السُّور إلى طوال ومئين ومثاني ومُفَصَّل واختلاف مقاصدها، كما قال ﷺ: «أُوتيتُ مكانَ الزبور الطِّوَالَ، ومكان التوراة المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلْتُ بالمفصل».

٦- ظهور مقصد السورة في قصار السُّور لكل قارئ لكتاب اللَّه، فسورة القدر مقصدها بيان فضل ليلة القدر كما هو ظاهر، «وقال جماعة من المتأولين معنى قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] إنا أنزلنا هذه السُّورة في شأن ليلة القدر وفي فضلها»[(٣)].

٧- من الأمور التي تدل على شخصية السُّورة ما يجده حُفَّاظ القرآن من شعور تجاه كلِّ سورة، فهو يرى أثر الرحمة في سور مريم، ويرى قدرة اللَّه وقُوَّتَه في سورة التوبة وهكذا.

---

(١) علم مقاصد السور، الربيعة (ص: ١٣).

(٢) مصاعد النظر (١/ ١٥٢).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٨).

٨- لا أحد يرضى أن يكون كلامُه مختلَّ النظام أو ضعيفَ الرباط، بل لو لاح له بعد زمانٍ شيءٌ من الاختلال أو الضعف راجَعَ فيه النظر وهذَّبه بغاية ما يُمكنه، فكيف يرضى بهذا الخلل الفاحش في كلام اللَّه الحكيم العليم؟! فمن نفى النظامَ عن كلام اللَّه فقد تفوَّه بما لم ترضَ به نفسُه عفا اللَّه عنه[١].

سابعًا: توافُق العلماء على إقرار هذا العلم وتأصيله، ومن ذلك:

١- تقدَّم معنا أن البحث عن مقاصد القرآن الكريم جملةً كثيرٌ عند العلماء، فالبحث عن مقصَد السُّورة الواحدة إنما هو إكمال لهذا الجهد القديم.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

٢- في علم المناسبات يبحث العلماء في المناسبة بين السُّور بذكر مقصَد السُّورتين والعلاقة بينهما، مما يدلُّ على وضوح مقصد السُّورة عند العلماء.

٣- قرَّر الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الكبير «الموافقات» أن لكل سورة مقصَدًا وبيَّن أنها تجري تحت نسق واحد[٢]؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقول في

---

(١) انظر: دلائل النظام (ص: ١).

(٢) انظر: علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم (ص: ١٥٤).

ذلك - واللَّه المستعان- أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بالٍ من المستمع والمتفهِّم، والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها= لا ينظر في أوَّلها دون آخرها، ولا في آخرها دون أوَّلها؛ فإن القضية وإن اشتملت على جُمَلٍ؛ فبعضها متعلِّقٌ بالبعض؛ لأنها قضيَّة واحدة نازلة في شيء واحد، فلا مَحِيصَ للمُتَفَهِّم عن ردِّ آخِر الكلام على أوَّله، وأوَّله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصودُ الشارع في فهم المُكَلَّف، فإن فرَّق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصَّل به إلى مُراده، فلا يصحُّ الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض»[(١)].

٤- «كلُّ سورة لها حدودٌ ورُسومٌ وأهدافٌ وأغراضٌ تَدُور حولها، فتَعْرِض لتحقيق ذلك عدَّة معانٍ، وتأخذ من كلِّ معنى ما يتناسب مع هدفها»[(٢)].

٥- قال العلَّامة محمد دراز رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق حديثه عن الوحدة للسُّورة: «إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرَّقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلما

(١) الموافقات للشاطبي، تحقيق مشهور حسن سلمان (٤/ ٢٦٦).

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي (ص: ٤٠).

Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

أُرِيد نقلُه بصورته إلى غير مكانه قُدِّرت أبعادُه ورُقِمَت لَبِنَاتُه، ثم فُرِّق أنقاضًا، فلم تلبث كلُّ لَبِنَةٍ منه أن عرَفَتْ مكانهَا المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يَشُدُّ بعضُه بعضًا كهيئته أوَّلَ مرَّة»[١].

٦- يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكلُّ سورة من سُوَر القرآن وحدةٌ متماسِكة، تشدُّها خيوط خفية.. تجعل أوَّلها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها، وتدور السُّورة كلُّها على محور ثابت»[٢].

ثامنًا: نصَّ العلماء على مقصَد بعض السُّور وموضوعها وتطبيقه بما يشبه الإجماعَ السكوتي ومن ذلك:

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - المجمع البحري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

- قول الزَّجَّاج رَحِمَهُ اللَّهُ عند حديثه عن سورة الأنعام: «أكثرها احتجاجٌ على مُشرِكي العرب، على من كذَّب بالبعث والنشور»[٣].

- قول الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ عن سورة الأنعام أيضاً: «مشتمِلةٌ على دلائل التوحيد، والعدل، والنُّبوَّة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطِلين والملحدين»[٤].

---

(١) النبأ العظيم (ص: ١٤٩).
(٢) نحو تفسير موضوعي (ص: ٥).
(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٧).
(٤) تفسير الرازي (٦/ ١١٧).

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن سورة التوبة: «أكثرها في وصف المنافقين وذمِّهم»[١].

وقال عن سورة المائدة: «سورة المائدة أجمعُ سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي..»[٢].

ويقول في سورة البقرة: «وقد ذكرتُ في مواضعَ ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم و قواعد الدِّين»[٣].

ويقول في سورة القمر: «وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السُّورة - يعني سورة القمر- في المجامع الكبار مثل الجُمَع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار..ثم ذكر حال الأنبياء ومكذبيهم»[٤].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed An-Nafi' for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

- قال شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن مغزى سورة الكافرون ولُبُّها ومقصودُها هو براءته ﷺ من دينهم ومعبودهم»[٥].

وقال في كلامه على سورتي المعوذتين: «تضمَّنت هاتان السُّورتان

---

(١) الفتاوى (٧/ ٤٦٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٤٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤١).
(٤) الجواب الصحيح (١/ ٤١٣).
(٥) التفسير القيِّم (ص٥٣١).

الاستعاذةَ من الشرور كُلِّها بأوجزِ لفظٍ وأجمَعِه»[١].

وفي سورة العنكبوت يقول: «فمضمون هذه السُّورة هو سرُّ الخلق والأمر؛ فإنها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة. ومن تأمَّل فاتِحَتَها ووسطَها وخاتِمَها وجد في ضمنها أن أوَّل الأمر ابتلاءٌ وامتحانٌ، ووسطه صبرٌ وتوكُّلٌ، وآخره هداية ونصرٌ، واللَّه المستعان»[٢].

- قال أبو الفداء ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن سورة الكافرون: «هذه السُّورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمِرةٌ بالإخلاص فيه»[٣].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وغير ذلك من كلام العلماء رحمهم اللَّه عن مقاصد السُّور.

فهذه ثمانية أدلَّة إجمالية، تحتها أربعون دليلاً تفصيليًّا، كلها تتابَعَ في الدلالة على بيان أصالة هذا العلم في العلوم الشرعية.

* * * * *

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٣١).
(٢) شفاء العليل (ص ٢٤٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٧).

المبحث الرابع
أهمية هذا العلم

تنبع أهمِّية هذا العلم من عدَّة أمور:

١- معرفة مَقصَد السُّورة أحدُ أهمِّ الوسائل الرئيسية لتحقيق المقصَد من إنزال القرآن، وهو تدبُّره والاهتداء بما تضمَّنه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وذلك أن التدبُّر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، ومَقصَدُ كلِّ سورة هو يَنبُوع معانيها الذي ترجع إليه.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، التدبُّر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد»(١)، وقال أيضًا: «فإن كلَّ عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقُّهَ في العبارة، وإنما التفقُّه في المعبَّر عنه والمرادِ به»(٢).

وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «فالتدبُّر إنما يكون لمن

---

(١) الموافقات (٣/ ٣٨٣).

(٢) الموافقات (٣/ ٤٠٩).

التفت إلى المقاصد؛ وذلك ظاهر أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبُّر»[١].

٢- معرفة مقصد السُّورة هو أحد أنواع تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أعلى أنواع التفسير.

٣- قال الدكتور فهد الرومي: «وهذا مبحث مُهِمٌّ من المباحث الجليلة، أولاه العلماء اهتمامَهم وعنايتَهم، وزادت قيمته ومكانته حين ظهر الاتِّجاه الحديث في الدراسات القرآنية بتناول السُّور القرآنية مستقلَّةً بناءً على الوحدة الموضوعية، وأنَّ كل سورة ذاتُ هدف معيَّن وغرضٍ أساس أُنزلت لأجله، وأكَّدوا على هذا المعنى باعتباره مَدخَلاً لفهم معانيها وكشف أسرارها وحِكَمِها، ثم بنَوْا على ذلك الوحدةَ الموضوعية في القرآن الكريم وبيان المناسبات بين الآيات والسُّور»[٢].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٤- وقوف المفسِّر على مقاصد السُّور يُسَدِّد ذهنَه ويعصمُه من الخطأ في تفسيرها غالبًا؛ لأنه يتقيَّد في توجيه الآيات وَفقًا لهذا المقصد.

وبيان ذلك: أن مَقصَد كلِّ سورة إنما يقف عليه المفسِّر بعد استقراء

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (١/ ٤٠).

(٢) دراسات في علوم القرآن، د فهد الرومي (ص: ١٠٤).

آياتها والتأمُّل العميق فيما تدلُّ عليه من معانٍ تُحقِّق مراد اللَّه تعالى من كلامه، وذلك بالنظر في فواتح السُّورة وخواتيمها، وسِياق وسِباق آياتها ولَحَاقِها، وألفاظها.

قال البقاعي عن علم المقاصد: «وغايته: معرفة الحقِّ من تفسير كلِّ آية من تلك السُّور، ومنفعته: التبحُّر في علم التفسير»(١).

٥- الاعتناء بعلم مقاصد السُّور القرآنية يؤدِّي حتمًا إلى اليقين بعصمة القرآن ورسوخِ الإيمان بأنه كلام اللَّه حقًّا، فتُشرق النفس وتقَرُّ العين ويزداد نور القلب.

٦- تفسير القرآن باعتبار مقاصد السُّور يُعتبر هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام اللَّه منتظِمًا على نحوٍ يتَّضح فيه جليًّا كمالُ نظمه واتِّساقُ آياته ومناسبته، ويبرز إعجازه وبلاغته؛ قال البقاعي: «ومن حقَّق المقصودَ من السُّورة، عرَف تناسب آيِها وفصَصِها وجميع أجزائها»(٢).

٧- فيه بيان نوع من أنواع إعجاز القرآن، وهو تماسُك السُّور واتِّصال معانيها ببعضٍ مع تفرق نزولها، وتباعُدِ أزمانها، وهو مما لا يستطيعه البشر، كما يقول الدكتور زياد خليل: «وقد ظهر اليوم بُعدٌ جديد

(١) مصاعد النظر (١/ ١٥٥).

(٢) مصاعد النظر للبقاعي (١/ ١٤٩).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

للتحدِّي بسُورة من مثله، إذ لا يتوقَّف ذلك على مجرَّد دِقَّة النَّظم في السُّورة من جزالة في أسلوبها وفصاحة في ألفاظها وجمال في تركيبها، بل كذلك في وحدة موضوعها»[(١)].

وقد عقد الدكتور الفذُّ محمد عبد اللَّه دراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلاً في كتابه «النبأ العظيم» عن هذا المطلب، وبيَّن فيه أن من أدلَّة صدق القرآن وأنه ليس من البشر «الوحدة الموضوعية لكلِّ سورة»، فكلُّ سورة معقودةٌ للتكلُّم عن موضوع معيَّن، ومع كِبَر بعض السُّور وامتداد نزولها على عدَّة سنوات إلا أن هذه الوحدة لم تنخرم ولم تنُسَ ولم تتبدَّل!

ثم ضرب لهذا مثلاً: فقال: مَثَلُ ذلك كقصرٍ مبنيٍّ في السماء، ثم يُنزل اللَّهُ منه كلَّ يوم قطعةً، فمرَّة يُنزل النافذةَ ومرَّة يُنزل السَّقف، ومرة يُنزل الجدار، ويأمر اللَّه نبيَّه بأن يضع الجزء كذا في مكان كذا، فيفعل وهو لا يدري لماذا، ولكنَّه هكذا أُمر، فلا ينتهي التنزيل إلَّا ويتَّضِح للجميع مدى توافُقِ هذا البنيان وإحكامه ودِقَّة تصميمه!

ولو أنك أخذتَ كلام أيِّ إنسان لمدَّة سنة واحدة فقط، ثم أردتَ أن تجعل منه موضوعًا متناغِمًا، أو أفكارًا منسجِمةً مع بعضٍ، لَمَا استطعت إلى ذلك سبيلاً!

---

(١) منهجية البحث في التفسير الموضوعي (ص: ١١٥).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadednafi3

ثم دَلَّل على ذلك بأطولِ سورة في القرآن، وهي البقرة التي نَزَلت على مدار تسع سنوات، ونزل في أثنائها أغلبُ السُّور المدنية، ومع هذا كان بناء سورة البقرة في غاية الإحكام ولم تختلط به أيُّ آية من غيره!

فإنْ تمَّ هذا لسُورة البقرة وهي أطول سورة في القرآن وأكثرُها آياتٍ، وامتدَّ نزولها على تسع سنوات= فما بالك بغيرها من السُّور؟! لا شكَّ أنَّه أولى وأحرى!

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن اجتماع هذه الأسباب في كلِّ سُورة متفرِّقة النُّجوم، دون أن تَغُضَّ من إحكام وَحدتها، ولا استقامة نظمها هو بالتحقيق معجزة المعجزات»[(١)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٨- علم مقاصد السُّور من علوم القرآن الكريم التي تندرج تحت نصوص الحثِّ على تعلُّم القرآن ومدارسته، كحديث: «خيرُكم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه»[(٢)] ونحوها.

٩- قِلَّة الدارسين له: وذلك أن «الموضوع الأصليَّ للكتاب (وهو بيان مقاصد سُوَر القرآن) موضوع بِكْرٌ، وعلى جانبٍ كبير من الأهمِّية بالنسبة لعلم التفسير، ولم نجد أحدًا من القدماء - ممن سبق البقاعي- وجَّه إليه

---

(١) النبأ العظيم (ص: ١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم ٥٠٢٧).

اهتمامه عند تفسير كتاب اللَّه ﷻ ، ما خلا نُتَفًا قليلة في بعض الكتب متناثرة هنا وهناك، وهي محاولاتٌ يَنقُصها الاستيعاب والشمول، بخلاف كتابنا هذا الذي استقصى..»[(١)].

وقال في المقدِّمات الأساسية لعلوم القرآن عندما تكلَّم عن كتاب الظلال: «كما سلك فيه مسلَكًا مُبتَكَرًا، وإن لم يكن جديدًا في موضوعه، لكنَّه **غير شائع في تطبيقه في كتب التّفسير**، وهو مراعاة الوحدة الموضوعيّة للسُّورة، والاعتناء بتحليل مضمونها، ثمّ تجزئتِه إلى مقاطع، ممَّا يحصل به تقريب للبعيد، وربط للمعاني، وهو نمط فريد في شرح الكتاب العزيز، ويقع تصنيفه ضمن كتب التّفسير بالرَّأي، لكنَّه الرَّأي المحمود، وذلك باعتبار ما غَلَب عليه»[(٢)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وذلك أن الكثير من أهل العلم عَزَف عنه لأسباب ثلاثة[(٣)]:

أ- خشية أن يكون فيه نوعُ جرأةٍ على كتاب اللَّه تعالى والكلام بغير

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للبقاعي، قدم له وحققه د. عبد السميع محمد حسنين (ص: ٦)، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٢) المقدِّمات الأساسية في علوم القرآن، لعبداللَّه بن يوسف الجديع (ص: ٣٨٧).

(٣) انظر: مقاصد السور للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٢٧)، ودلائل النظام للفراهي تحت عنوان: أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام (ص: ١٧).

علم، بل قد أنكره بعض أهل العلم وقال: إن السُّور ليس لها مقاصِد ولا بينها مناسبة!

ب- أن مدارس التفسير المشهورة هي مدرسة الرِّواية أو الدِّراية، وكلا المدرستين (الأثر والاجتهاد) راجعة إلى تفسير الكلمات والآيات، وأما الرَّبط بين الآيات وانتظامها في مقصَدٍ واحد فهي مدرسة غير معروفة، ولذلك لم يكن لها ذكر وعناية.

ت- أن العلماء الذين تكلَّموا في علم المقاصد والمناسبات ردَّ عليهم طائفة من العلماء وغلَّطوهم، بل رَمَوْهم بالقول على اللَّه سبحانه بلا علم، فهاب كثيرون أن يدخلوا هذا المضمار براءةً للذِّمَّة وحمايةً للعرض.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

فهو إذن علمٌ يحتاج إلى مزيد اعتناء وبذلِ جُهد في تأصيله وبيان أوجُه تطبيقه، وهذا يُبرِز أهمِّية البحث فيه.

* * * * *

المبحث الخامس
ثمرة علم مقاصد السُّور

علم مقاصد السُّور من العلوم المُهِمَّة التي تُثمر ثمارًا يانعة، منها:

١- مزيد توضيح لمعاني كلام اللَّه تعالى، وتقريبه إلى عموم المسلمين، لتحقيق الامتثال الأكبر لكلام اللَّه واتِّضاح معاني السُّورة، كما قال البقاعي: «وغايتُه: معرفة الحقِّ من تفسير كلِّ آية من تلك السُّور، ومنفعتُه: التبحُّر في علم التفسير؛ فإنه يُثمر التسهيل له والتيسير»[(١)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafe' for Publication and Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٢- الترجيح بين الأقوال ومعرفة أقرب الأقوال إلى مقصَدِ السُّورة.

٣- الجواب على كثيرٍ من الإشكالات ورَدُّ كثيرٍ من الشُّبهات مثل: سبب تكرار القصص في السُّور، ورَدُّ دعوى أن القرآن من النبيِّ ﷺ، وغيرها من الشبهات.

يقول عبد الحميد الفراهي: «إنَّ فهمَ القرآن محوِّلٌ إليه - يعني النظام -، والوجوه الكثيرة في التأويل وعدم الاعتماد على تأويل صحيح؛ إنما ينشأ

---

(١) مصاعد النظر (١/ ١٥٥).

من عدم المعرفة بالنظام، فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع شكوك الحيرة»[١].

٤- تيسير حفظ القرآن بمعرفة مَقصَد السُّورة وتَسلسُلِ مواضيعها وترابُط آياتها.

٥- ذوقُ حلاوة القرآن والاستغناء به عن غيره، «فهذا العلم يبعثُ على رسوخ الإيمان، وزيادة نور القلب، وقرار العين بما يتَّضح من روائع هذا العلم العظيم، ويحصل معه من اللَّذَّة والمتعة والسُّرور ما لا يحصل في غيره، ذلك أنه علم يبحث في الحكم والمقاصد الدقيقة التي تمثل روح القرآن وأسراره العظيمة»[٢].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٦- من أهمِّ ثماره تحقيق مقصد القرآن الأهمِّ وهو التدبُّر.

٧- معرفة المناسبات بين الآيات، قال الإمام البقاعي: «من عرف المراد من اسم السُّور عرف مقصودها، ومن حقَّق المقصود منها عرف تناسُبَ آياتها وقصصها وجميع أجزائها»[٣].

٨- «أن مقاصد السُّور من أعظم ما يتحقَّق بها ربط الآيات بالواقع؛

---

(١) دلائل النظام (ص٧٥).

(٢) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٧).

(٣) مصاعد النظر للبقاعي (١/ ١٤٩).

وذلك أن المتدبِّر في مَقصَد السُّورة يعايِشُ السُّورة معايَشةً تَبعَثُه على التفاعل والعمل والتطبيق، فالقارئ لسورة الإخلاص مثلاً حين يُدرك ما تهدف إليه السُّورة من تحقيق الإخلاص والتوحيد، يَستَحضر هذا المقصَد في آياتها وكلماتها، فيبعثُه ذلك على تحقيق المقصود»[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٧).

الفصل الثاني

الوسائل المُعِينة على معرفة المقاصد

المبحث الأول: ضوابط ومعايير معرفة مَقصَد السُّورة.

المبحث الثاني: حصر كلام العلماء.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67044428
jadeednafi3

المبحث الثالث: الوسائل العملية لمعرفة المقصَد:

المطلب الأول: الوسائل النقلية.

المطلب الثاني: الوسائل العقلية (الاجتهادية).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المبحث الأول

ضوابط ومعايير معرفة مقصَد السُّورة

لا بدَّ أن نعلم ابتداءً أن معرفة مقصَد السُّورة ليس بالأمر اليسير دائمًا، فأحيانًا يحتاج إلى جُهدٍ وبذل واستيعاب، يقول الفراهي: «اعلم أن تعيين عمود السُّورة هو إقليدٌ لمعرفة نظامها.. ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شِدَّة التأمُّل والتمحيص»(١).

وسأذكر في هذا الفصل ثلاثة أسباب رئيسية للوصول إلى مَقصَد السُّورة:

الجديد الناشر للنشر والتوزيع
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafis

أوَّلها: معرفة معايير المقصد وضوابطه.

وهذه الضوابط تعين في معرفة المقصد، وأغلبها من كلام أهل العلم:

١- تعريف المقصَد: هو الموضوع الرئيسي للسُّورة.

٢- مقصَد السُّورة مسألةٌ اجتهادية، فلا يلزم أن يتَّفق الجميع عليه.

٣- أنه معنًى خفيٌّ - غالبًا - يحتاج إلى تدبُّر واستيفاءِ الكلام كلِّه، ووجهُ كونه معنى خفيًّا؛ أنه يمثِّل الروحَ التي تسري في كيان السُّورة،

(١) دلائل النظام (ص١٦).

فتربط بين أجزائها، وتجعل كلَّ جزء فيها آخذًا بالآخَر، في سبيل تحقيق المقصَد الأعظم[١].

٤- المقصَد هو المعنى الجامع لكل معاني السُّورة، فهو «جامع مطالب الخطاب الذي يمثِّل الأمور الكُلِّيّة للسُّورة، وهو المحصول والمقصود الأساسيُّ منه»[٢].

٥- أنه الغاية والمغزى الذي يريده اللَّه تعالى من كلامه في السُّورة ؛ فقد يكون تربيةً أو إعدادًا لأمر، حضًّا أو تحذيرًا أو ترغيبًا أو كشفًا أو معالجةً[٣].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٦- مَقصَد السُّورة ليس هو موضوعاتِ السُّورة، فالسُّورة قد تتطرَّق لِعِدَّة مواضيع كالتوحيد والصلاة والجنة والنار، وأمَّا المَقصَد فهو الموضوع الأكبر الجامع لكلِّ هذه الموضوعات.

٧- اتِّصال الآيات بالمَقصَد، بحيث لا تبقى آيةٌ أو مجموعة آيات إلَّا ولها دَورٌ في توضيح المَقصَد، فبعضُها سببٌ وبعضها نتيجةٌ وبعضها موانعُ وبعضها دوافعُ، وهكذا.

---

(١) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٤).
(٢) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٤).
(٣) علم مقاصد السور، د محمد الربيعة (ص: ٤).

٨- يوضِّح الفراهي ضابطَ المَقصَد الذي يُسمِّيه عمودَ الكلام بأنه: «جِماعُ مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنَّه يَسري فيه كالروح والسِّرِّ، والكلام شرحه وتفصيله، وإنتاجه وتعليله، وربما يَحسُن إخفاؤه، فلا يَطَّلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبُّر فيه»(١).

٩- المقصَد قد يكون منطوقًا صراحة في السُّورة، وقد يكون مفهومًا من جملة معانيها.

١٠- وقال دراز: «ومِلاكُ الأمر في ذلك أن ينظر إلى النظام العامِّ الذي بُنِيت عليه السُّورة بمجموعها»(٢).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publishing and Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) دلائل النظام (ص١٦).
(٢) النبأ العظيم (١٥٨).

المبحث الثاني
حصر كلام العلماء

بعد معرفة الضوابط والمعايير لمعنى مَقصَد السُّور وهي الخطوة الأولى، ننتقل إلى الخطوة الثانية وهي جمع كلام المفسِّرين أو المهتمِّين بعلم المقاصد[١]، فقد اهتمَّ الكثير من المفسِّرين وعُنوا بذكر مَقصَد كلِّ سورة في مَطلَع تفسيرها، بل أفرد الكثيرُ من العلماء هذه المقاصد بمؤلَّفات خاصَّة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication and Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

قال في «كتاب مقاصد السُّور» في بيان الوسائل التي يعرف بها موضوع السُّورة:

«الوسيلة الأولى: أن ينصَّ العلماء أو طائفةٌ من المحقِّقين على أن هذه السُّورة في الموضوع الفلاني، مثلاً: سورة الإخلاص في توحيد الأسماء والصفات، أو في التوحيد العِلميِّ الخبريِّ، وسورة (الكافرون) في توحيد الطَّلب، وسورة الفاتحة في بيان محامد الربِّ سبحانه، وسورة النحل في النِّعم، وسورة الكهف في الابتلاء،

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص: ٧٠).

وسورة العنكبوت في الفتنة، وسورة البقرة في بيان الكُلِّيَّات الخمس والضروريات التي تَدُور عليها أحكامُ الشريعة وبيان عَدُوٍّ من أعداء الإسلام وهو اليهود، وسورة آل عمران في تكميل ذلك مع بيان عدوٍّ جديدٍ وهم النصارى، والحوار معهم ثم مجاهدة المشركين، وسورة النساء في بيان أحكام النِّساء والمواريث، ثم بيان أحكام العدوِّ الثالث وهو المنافقون، ثم سورة المائدة في بيان أحكام الحلال والحرام والعُقود، إلى آخر ذلك»[(١)].

فعلماء التفسير في اهتمامهم بمقاصد السُّور على خمسة أنواع[(٢)]:

الأول: من لم يذكر مقاصد السور في تفسيره مطلقًا، مثل كتب التفسير بالأثر والرِّواية، وغالب كتب التفسير المختصَرة.

الثاني: الذين أشاروا لمقاصد السُّورة من غير تصريح، كابن جرير الطبري وابن عطية وابن كثير والقرطبي.

الثالث: المفسِّرون الذين صرَّحوا بمَقصَد السُّورة، وكان لهم عنايةٌ في هذا العلم، من غير أن يكون لهم مَنهَجٌ مُطَّرِد في ذلك،

---

(١) مقاصد السُّور للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٣٩-٤١).

(٢) انظر: علم مقاصد السور، للدكتور محمد الربيعة (ص: ٢٣)، وقد ذكر أنها ثلاثة أنواع، مسقطا الأول والخامس.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

كالزمخشري والرَّازي، وابن الزبير، والشاطبي، وابن تيمية، وابن القيِّم، رحمهم اللَّه.

الرابع: المفسِّرون والعُلَماء الذين عُنوا بعلم مقاصِد السُّور، وسلكوا فيه منهجًا في تفاسيرهم، فمِمَّن اهتمَّ بذلك[١]:

١- الفيروزابادي في كتابه «بصائر ذوي التمييز».

٢- وأبو حيان الغَرناطي في تفسيره.

٣- وابن الزبير الغَرناطي في كتاب «البرهان في مناسبة سُور القرآن»، وكتاب «ملاك التأويل».

٤- والبقاعي في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»، وفي هذا الكتاب التزم البقاعي أن يذكر مَقصَد السُّورة ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها وما بعدها من السُّور.

٥- والإمام السيوطي في كتابه «معترَك الأقران في إعجاز القرآن» بذكر وجوه إعجاز العلم بالمقاصد وتناسُب الآيات والسُّور.

٦- تفسير «تبصير الرحمن وتيسير المنان» للمخدوم المهائمي[٢].

٧- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير».

---

(١) انظر: مقدمة مصاعد النظر (ص: ٦).

(٢) ذكره المحقِّق لكتاب «دلائل النظام» للفراهي في المقدمة (ص: ٣)، ولم أقف عليه.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
jadeednafi3

٨- الشيخ محمود شلتوت في تفسيره.

٩- وسيِّد قطب في كتابه «في ظلال القرآن».

١٠- تفسير المراغي.

١١- نظام القرآن للفراهي.

١٢- وسعيد حوَّى في كتابه «الأساس في التفسير».

١٣- وهبة الزحيلي في «التفسير المنير».

١٤- الصابوني في «صفوة التفاسير».

١٥- وكتاب «المختصر في التفسير» قبل أن يبدأ بتفسير السُّورة يقدم بذكر مقصَدها.

Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67044426

١٦- ومثله تفسير المدينة المنورة[١].

١٧- الموسوعة القرآنية، لجعفر شرف الدين[٢].

١٨- ومعارج التفكُّر ودقائق التدبُّر لعبد الرحمن حسن حبنكة.

١٩- بيان النَّظم في القرآن الكريم لمحمد فاروق الزين (من سورة

---

(١) تأليف نخبة من العلماء، نشر مركز تعظيم القرآن الكريم في المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٦هـ.

(٢) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

غافر إلى الناس).

وليس منها كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) لصديق حسن خان، فهو يعني بكلمة (مقاصد) هنا المعنى اللغوي العام، وليس المعنى الاصطلاحي الخاص[١].

وليس منها أيضًا (مقاصد القرآن الكريم) لحسن البنَّا، وإنما هو كتاب يجمع ما فسَّره الشيخ حسن البنا في عدة مجالس.

الخامس: كتبٌ أُفردت في مقاصد السُّور:

١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السُّور للبقاعي[٢].

٢- (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن) للدكتور عبداللَّه شحاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

٣- أغراض السُّور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، للدكتور محمد إبراهيم الحمد[٤].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

---

(١) انظر: منهج صديق حسن خان في فتح البيان في مقاصد القرآن، د. محمود الحنطور، دار الهداية، ط٢، ٢٠٠٨م.

(٢) مكتبة المعارف بالرياض.

(٣) نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

(٤) طبعته إدارة الثقافة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ.

٤- نبذ من مقاصد الكتاب العزيز، للعز بن عبدالسلام رَحِمَهُ اللَّهُ»[١].

٥- دلائل النظام للفراهي، ألَّف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة الموضوعية) في كل سُورة من سُور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السُّورة.

٦- النبأ العظيم، للشيخ محمد عبداللَّه دراز.

٧- الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، د محمد محمود حجازي[٢].

٨- النظم الفنِّي في القرآن، لعبد المتعال الجبري.

٩- مقاصد السُّور وأثره ذلك في فهم التفسير، للشيخ صالح آل الشيخ.

١٠- قبسٌ من نور القرآن الكريم: دراسة تحليلية موسَّعة بأهداف ومقاصد السُّور الكريمة، لمحمد علي الصابوني.

١١- الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم، لصفية عبد الرحمن السحيباني، حيث قامت بوضع مقصد السُّورة في منتصف الصفحة ثم فرعت منه موضوعات السُّورة.

البديد الناضع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

---

(١) وقد حقَّقه وعلَّق عليه أيمن عبدالرزاق الشوا، ونشره المحقق عام ١٤١٦هـ، وهذا الكتاب ليس كتابًا مستقلًّا للعز بن عبد السلام، وإنما هو جزء ختم به المؤلف كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) كما تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) طبعته دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٢- الخرائط الذهنية للقرآن الكريم، د إبراهيم الدويش.

١٣- الخارطة الذهنية للقرآن الكريم لتيسير الفهم والحفظ، د شايع الشايع.

١٤- جدول مقاصد سور القرآن، لسمر الأرناؤوط، وهي فكرة رائعة في جمع مقاصد السُّور وترتيبها بشكل جدول، يوضع في المساجد والمراكز الإسلامية ونحوها.

وهناك **نوع سادس** من الكتب التي عُنيت بالمقاصد، وهي الكتب التي اهتمَّت بإبراز مَقصَد سورة معيَّنة، مثل:

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

١- الصِّراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، لعادل أبو العلاء.

٣- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، لمحمود غريب[(١)].

٤- وهناك رسائل في الماجستير والدكتوراه حول هذا الموضوع لكنها لم تطبع.

وهذا النوع كثير في كتابات المعاصرين لا سيَّما في الدراسات العليا.

* * * * *

(١) دار التراث العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث

الوسائل المعينة على معرفة مقصد السُّورة

الطريقة الثالثة لمعرفة مقصد السُّورة هي الاجتهاد لمن توفَّرت فيه أهليَّة الاجتهاد، ونال نصيبًا من علوم الآلة والعلوم الشرعية، وكان له حظٌّ في الاطِّلاع على علم التفسير.

وذلك باتِّباع الوسائل التالية:

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

المطلب الأول: الوسائل المعنوية:

١- صدق الإيمان بالقرآن:

فالتدبُّر- بجميع أبوابه- له أساس «لا يَدُور قُطْب رحاه إلا عليه؛ وهو الإيمان الصادق بالآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٦]، فإن معانيَ القرآن لا تُكشف إلا للمُتَّقين الخاشعين الذين يظنُّون أنهم ملاقُو ربِّهم، فليلتمس أوَّلاً من أراد التدبُّر في القرآن قلبَه، هل الإيمان الصادق بالآخرة»[(١)].

---

(١) دلائل النظام للفارهي (ص: ٢).

٢- الإخلاص:

وأثرُ الإخلاص في التوفيق والهداية لمعاني القرآن عظيم، وكم رأينا من التوفيق في معرفة مقاصد السُّور من عموم المسلمين ومبتدئي العلم ما لم نجده عند شيوخه ومَن هم أقدمُ في طلب العلم، قال تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، فالمخلِص موفق بعيدٌ عن إغواء الشيطان.

٣- الدعاء:

سؤالُ اللَّه الحاجاتِ الأُخرويَّة أعظمُ وأهمُّ من سؤاله الحاجات الدنيوية، والكثير من الناس لا يدعو إلا لحاجاته الدنيوية فقط، وهو خللٌ كبير في فهم هذه العبادة العظيمة، ومن أهمِّ الحاجات الأُخرويَّةِ معرفةُ مراد اللَّه تعالى مِنَّا في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ [غافر: ٦٠].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: 965501044125
jadeednafi3

٤- المعايشة وطول التأمُّل:

قال عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُحتاج في كثير منه إلى دِقَّة الفطنة، وصفاء القريحة، ولُطف الفكر، وبُعْدِ الغوص، ومِلاك ذلك كلِّه الجامعُ له والزمام عليه: صِحَّةُ الطَّبع وإدامة الرياضة، فإنهما أمران ما اجتمعا في شخص فقصَّرا في إيصال صاحبهما عن غايته،

ورضِيا له بدون نهايته، فصِحَّة الطبع مَلَكةٌ فِطرية، وإدامة النظر اكتسابٌ مُستمِرٌّ، وعلاقة الذوق بالسِّياق تَصقُلُها التجربة»[١].

وقال الزركشي: «وإنما يَفهم بعض معانيه، ويطَّلع في أسراره ومبانيه، مَن قوي نظرُه، واتَّسع مجالُه وتدبُّره، وامتدَّ باعُه، ورقَّت طِباعه»[٢].

وقال الفراهي: «لكنه - يعني عمود السُّورة - أصعبُ المعارف، ويحتاج إلى شِدَّة التأمُّل والتمحيص، وترددِ النظر في مطالب السُّورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يَلُوح كفَلَق الصبح، فتُضيءَ به السُّورة كلُّها، ويتبيَّن نظامُها، وتأخذ كلُّ آية محلَّها الخاصَّ، ويتعيَّن من التأويلات أرجحُها...»[٣].

الجديد للنشر والتوزيع
Al Jadeed For Publication & Distribution
حولي - شارع الامثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
Jadeedbooks

وقد «كان بعض العلماء حافظًا للقرآن وكان يقرأ السُّورة عدَّة مرَّات حتى يقف على مفتاحها ولا يقرأ من كتب التفسير حولها شيئًا حتى لا يتأثَّر بها فكان يقول: «إنه كان يُفتح عليَّ في بعض الأحيان في وقت قريب، وفي بعض الأحيان يَستغرِق ذلك وقتًا حتى إذا أدركت المحور الرئيسي في السُّورة والمحاور الفرعية جلست للكتابة عنها،

(١) الوساطة (ص٤١٣).
(٢) البرهان (٢/ ١٩١).
(٣) دلائل النظام (ص١٦).

ووددت لو أنني أنهيتُها في جلسة واحدة لكان ذلك أفضل». حتى إذ انتهى من السُّورة الأولى كان يعود إلى كتب التفسير ليستدرك سبب النزول أو روايةً أو شيئًا من هذا القبيل»[(١)].

المطلب الثاني: الوسائل العملية:

أولا: المسائل النقلية:

١- زمان نزول السُّورة:

قال د. زياد خليل: «ولو تعمَّقنا في النظر في آيات كلِّ سُورة مكِّية، ودرسنا آياتها على ضوء واقع التنزيل، والظروف التي مرَّت بها الحركةُ الدعوية في مكَّة، لوجدنا كلَّ سُورة متميِّزة عن غيرها، وإن تكرَّرت موضوعات العقيدة فيها»[(٢)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

فلا بُدَّ أن يتعرَّف هل السُّورة «مكية أم مدنية»، وإن كانت كذلك فهل هي متقدِّمةُ النزول أم متأخِّرة أم متوسِّطة، فالعهد المكيُّ كان عهدَ استضعافٍ، والسُّلطة بيد غير المسلمين، وليس فيهم أهل كتاب ولا

(١) انظر: الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، لعدنان زرزور (ص: ١)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) منهجية البحث في التفسير الموضوعي (ص١٠٢).

منافقون، بينما في العهد المدنيِّ كانت الدولة للإسلام وفيها اليهود، ونجَمَ النِّفاق، فهذه السياقات والظروف لنزول السُّورة تُقَرِّب معرفة مقصودها.

٢- فضائل السُّورة:

فضائل السُّورة تُساعد على معرفة مَقصَد السُّورة، قال البقاعي في «مصاعد النظر»: «وعلى قدر المقصود من كلِّ سورة تكون عظمتُها، ويُعرف ذلك مما ورد في فضائلها، ويُؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدلُّ على فضلها كثرتُها، فلا سورة في القرآن أعظمَ من الفاتحة؛ لأنّه لا مقصود أعظمَ من مقصودها»(١).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

كحديث ابن عابس الجهني، أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «يا ابن عابس، ألا أخبرك بأفضل ما تعوَّذ به المُتَعَوِّذون؟» قال: قلت: بلى. فقال رسول اللَّه ﷺ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هاتين السُّورتين»(٢)، حيث بيَّن لنا فضلُ السُّورة أن مَقصَدها هو الوقاية من الشرور، فمعرفة فضائل السُّورة لها دَورٌ في بيان مَقصَد السُّورة.

---

(١) نظم الدرر (١/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٢٩٧) وصحَّحه الشيخ الأرنؤوط.

٣- خصائص السُّورة:

معرفة خصائص السورة معين على مقصدها، وأعني بالخصائص ما تميزت به كل سورة، بأمور مثل الطول والقصر، وعدد الآيات، وانفرادها بافتتاح أو ختام أو كلمة أو آية، أو انفرادها بمعالجة موضوع خاص أو قصة أو عَلَم لم يذكر في غيرها.

٤- أسباب النزول والأحداث التي نزلت فيها السُّورة:

قال د. محمد حجازي: «ومما يأخذ بيده إلى فهم المقصود الأعلى، والغرض الأسمى للكلام= النظرُ في أسباب النزول مع ضوابطه العلمية التي تُوقِفُه على حقائق الكلام، ولا تتَّضح إلا عن هذا الطريق»[(١)].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi' for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

فمعرفة سبب نزول السُّورة والأحداث التي نزلت فيها من أهمِّ الأمور التي تُعين على معرفة مَقصَد السُّورة، فمعرفة السَّبب مُعِينةٌ على معرفة المسبب، فبعد بدر نزلت سورة الأنفال، وبعد أُحُد نزلت سورة آل عمران، وبعد الخندق نزلت سورة الأحزاب، وبعد صلح الحُدَيْبِيَّة نزلت سورة الفتح، وبعد مُؤْتةَ نزلت سورة التوبة، وبعد فتح مكَّة نزلت سورة محمد، فعَدَمُ فهم هذه الأحداث والقراءة لها قراءة مُستوعِبةً سيُحدث قُصورًا في الفهم لمراد اللَّه تعالى من هذه السُّور.

(١) الوحدة الموضوعية (ص٤٠).

٥- أسماء السُّورة:

مِن أهمِّ الوسائل المُعينة على معرفة مقصَد السُّورة، اسم السورة أو أسماؤها، فـ «ينبغي النظرُ في وجه اختصاص كلِّ سورة بما سُمِّيت به»[١]، «وإذا كان لها أكثرُ من اسم يذكرها، ويُبَيِّن حكمةَ تسميتها بذلك الاسم، أو تلك الأسماء، ويلاحظ الصِّلةَ بين اسمها وموضوعها العام ويتعرَّف على اسمها التوقيفي والاجتهادي»[٢].

قال البقاعي في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور»: «وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السَّنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أنَّ اسم كلِّ سورة مترجِمٌ عن مقصودها؛ لأن اسم كلِّ شيء تظهر المناسبةُ بينه وبين مسمَّاه عنوانُه الدالُّ إجمالاً على تفصيل ما فيه».

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وكتاب البقاعي «مَصاعِدُ النَّظرِ للإشرافِ على مَقاصِدِ السُّور»، يُسمَّى: «المَقْصِدُ الأَسمَى في مُطابقةِ اسمِ كُلِّ سُورةٍ للمُسَمَّى».

فسورة المنافقون كلُّ حديثها عن النِّفاق وأهله، فاسمُها صريحٌ في الدلالة على مَقصَدها.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٧٠).

(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص: ٨٣)، بتصرف يسير.

ثانيا: المسائل العقلية (الاجتهادية):

١- مناسبة السُّورة لما قبلها وما بعدها:

من أهمِّ المعينات على معرفة مقصَد السُّورة «ربط السُّور بما قبلها من السُّور حسَبَ ترتيب المصحف من حيث التناسُبُ في الموضوع العامِّ لكلٍّ منها»(١).

٢- مَطلِع السُّورة:

ولابن القيِّم في كتابه «بدائع الفوائد» تأكيدٌ على تأثير مطالِع السُّور - ولو كانت حروفًا- على ما تتضمَّنُه تلك السُّور من مَعانٍ(٢)، ويقول السيوطي في ذلك: «وقد قدَّمنا غير مرَّة أن سُوَر القرآن تُستفتح بما يُشير إلى المقصود، ثم يُستطرد منه إلى غيره بأدنى مُلاءَمة... ثم يُشار في آخر السُّورة إلى مثل ما افتتح به»(٣).

ويقول د. محمد دراز: «توضِّح الآيات الافتتاحية في السُّورة الموضوعَ الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسة، ثم يَتْبع ذلك التدرُّجُ في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزءٌ مع جزء آخر، وإنما

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص: ٨٥).
(٢) انظر بدائع الفوائد (٣/ ٦٩٢).
(٣) قطف الأزهار (٢/ ١٠٨).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426

يحتلُّ كلُّ جزء المكانَ المناسبَ له في جملة السُّورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تُقابل الديباجة»[١].

٣- الكلمات المكررة في السُّورة:

تكرار بعض الكلمات في السُّورة دليل على أهمِّية هذه الكلمات في بيان مَقصَدها، فتكرارُ قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، وتكرارُ كلمة الرحمة ومشتقَّاتها في سورة مريم، وتكرار آية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسَلات، كلُّ هذا دليل على مقاصد هذه السُّورة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

فسورة الجاثية مثلاً: مَقصَدُها آيات اللَّه الكونية والشرعية وموقفُ الناس منها، تكرَّرت فيها كلمة (آيات) كثيرًا جدًّا.

٤- خاتمة السُّورة:

خاتمة السُّورة كالملخَّص للسُّورة، وفيها دلالةٌ كبيرة على مقصودها، وقد أشار لذلك أبو حيان الأندلسي إشارة مُجمَلة في قوله: «وقد تتبَّعتُ أوائلَ السُّور المطوَّلة، فوجدتُها يناسبها آخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء.. وذلك من أبدع الفصاحة؛ حيث يتلاقى آخرُ الكلام المفرِط

(١) مدخل إلى القرآن (ص١١٨-١١٩).

في الطُّول بأوَّله، وهي عادة للعرب في كثير من نَظْمِهم»[١].

فسورة التحريم ومقصودُها (الولاء والبراء) آخر آية فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وسورة العنكبوت ومقصودها (المجاهدة في ذات اللَّه) آخرها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٥- موضوعات السورة ومقاطعها:

لابد لمعرفة مقصد السورة من استقراء «من عالم بالتفسير أما استقراءً كاملاً أو استقراء أغلبيًّا»[٢]؛ وذلك للوقوف على الجوِّ الخاصِّ الذي يظلِّل موضوعاتِها كلَّها ويجعل سياقَها يتناول هذه الموضوعات، بالتأمُّل في المعاني العامَّة، ومحاولة الرَّبط بينها، وقد قرَّر ذلك الشاطبي فقال: «اعتبار جهة النظم في السُّورة لا يتمُّ به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنَّظر؛ فالاقتصار على بعضها غيرُ مُفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكمٍ ما= لا يُفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها»[٣]. وقال: «فلا محيصَ للمُتفهِّم عن ردِّ آخر الكلام

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

(١) البحر المحيط (٢/ ٣٧٨).
(٢) مقاصد السور للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٤٤).
(٣) الموافقات (٣/ ٤١٥).

على أوَّله، وأوَّله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المُكَلَّفِ، فإن فرَّق النظر في أجزائه فلا يتوصَّل به إلى مُراده»[١].

وقال دراز: «ومِلاك الأمر في ذلك أن يُنظر إلى النظام العامِّ الذي بُنِيَت عليه السُّورة بمجموعها»[٢].

وقد قسَّم الشيخ مصطفى مسلم هذا النوع إلى مراحل:

١- تقسيم السُّورة الطويلة إلى مقاطع وفِقرات؛ مقدِّمة وخاتمة، وتقسيم الصُّلب إلى فقرات.

٢- ربط هذه المقاطع بالأهداف الرئيسة للسُّورة.

٣- استخلاص أهم حقائق السُّورة، والدلالات التي تقرِّرها.

٤- محاولة التعرُّف على الهدف الرئيسي للسُّورة والمحور الذي تدور حولَه[٣].

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
jadeednafi3

هذه أهمُّ الأسباب المُعِينة على معرفة مقصَد السُّورة.

* * * * *

(١) الموافقات (ص٣/ ٤١٣).

(٢) النبأ العظيم (١٥٨).

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (ص: ٤٠)، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص: ٨٥).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

نموذج تطبيقي

مقصد سورة الذاريات

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution

حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426

jadeednafi3

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المبحث الأول
أقوال العلماء في مقصَد سورة الذاريات

اختلف العلماء في مقصَد سورة الذاريات على عدَّة أقوال:

القول الأوَّل: القول بأن مقصَدها قضية الرِّزق.

قال في (المختصر في التفسير): «تعريف المخلوقين بمصدر رزقهم وهو اللَّه تعالى؛ لكي يفِرُّوا إليه، ويحقِّقوا العبوديَّة له»[(١)].

وقال في ظلال القرآن: «هذه السُّورة بافتتاحها على هذا النحو، ثم بسياقها كلِّه؛ ربطُ القلب البشريّ بالسماء، وتعليقُه بغيب اللَّه المكنون، وتخليصُه من أوهاق الأرض، وإطلاقه من كل عائق يحول بينه وبين التجرُّد لعبادة اللَّه، والانطلاق إليه جملة، والفرار إليه كُلِّيَّة، استجابةً لقوله في السُّورة: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، وتحقيقًا لإرادته في عباده: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.

ولَمَّا كان الانشغالُ بالرِّزق وما يخبِّئه القدَرُ عنه هو أكثفَ تلك العوائق وأشدَّها؛ فقد عُنِيَ في هذه السُّورة بإطلاق الحِسِّ من إساره، وتطمينِ

(١) المختصر في التفسير (ص: ٥٢٠)، من إصدارات مركز تفسير، الرياض.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

النَّفس من جهتِه، وتعليق القلب بالسَّماء في شأنه، لا بالأرض وأسبابها القريبة.

وتكرَّرت الإشارةُ إلى هذا الأمر في السُّورة في مواضعَ متفرِّقة منها:

- إمَّا مباشرةً، كقوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾.

- وإما تعريضًا، كقوله يصوِّرُ حالَ عباده المتَّقين مع المال: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾، ووصفه لجُود إبراهيم وسخائه وهو يَقْري ضيوفَه القلائل - أو مَن حَسِبَهم ضُيوفَه من الملائكة - بعِجْلٍ سمينٍ، يُسارع به عقِبَ وُفُودهم إليه، وبمجرَّد إلقاء السَّلام عليه، وهو لم يَعرِفْهم إلا منذ لحظة.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
الرياض - شارع الثنيان - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

فتخليصُ القلب من أوهاق الأرض، وإطلاقه من إسارِ الرزق، وتعليقُه بالسماء، ترفُّ أشواقه حولها، ويتطلَّع إلى خالقها في علاه، بلا عائق يحولُ بينه وبين الانطلاق، ويعوقُه عن الفرار إلى اللَّه؛ هو محور السُّورة بكلِّ موضوعاتها وقضاياها التي تَطرُقُها، ومن ثَمَّ كان هذا الافتتاح، وكان ذلك الإيقاع الغامض في أوَّلها، وكان القَسَمُ بعده بالسماء، وكان تكرارُ الإشارة إلى السماء أيضًا..»[1].

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ٣٣٧٣).

القول الثاني: التقوى:

وهذا ما ذهب إليه سعيد حوَّى في كتابه (الأساس) حيث قال:

«فصَّلت سورة الذاريات في التقوى وأسبابها، وعاقبة أهلها، ودلَّت على الطريق إليها»(١).

القول الثالث: مُصاب الدنيا، وعذابُ الآخرة:

قال الإمام البقاعي في كتابه (مصاعد النظر):

«ومقصودها: الدلالة على صِدق ما أنذرت به سورة (ق) تصريحًا، وبشَّرت به تلويحًا، ولا سيما من مُصاب الدنيا، وعذاب الآخرة»(٢).

وهذا ما رجَّحه محمد القيعي في كتابه (الأصلان في علوم القرآن)(٣).

الجديد الناضع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ٢٤
Mob: 965 67041126
jadeednafi3

القول الرابع: الفرار إلى اللَّه هو طريق العبودية الصادقة:

جاء في كتاب (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم): «إن محور هذه السُّورة الجامع لكلِّ مواضيعها الرئيسة والفرعية ومفردتها وظلالها هو: (الفرار إلى اللَّه هو طريق العبودية الصادقة)»(٤).

---

(١) تفسير الأساس لسعيد حوى (ص: ٥٥٣٣).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي (٣/ ٢٤).

(٣) (ص: ٢٣٨).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لجماعة من العلماء بأشراف أ.د. مصطفى مسلم، (٧/ ٤٤٥).

القول الخامس:

قال الزحيلي في (التفسير المنير): «موضوع هذه السُّورة كسائر السُّور المكية: إثبات أصول العقيدة والإيمان، وهي التوحيد والرسالة والبعث، ونفيُ أضدادها وهي الشِّرك، وتكذيب النبوَّة، وإنكار المعاد»[(١)].

وهذه مقاصد القرآن كله، وليس فقط سورة الذاريات، وقلَّما سورة تخلو من ذكر هذه القضايا الكبرى.

القول السادس:

قال صاحب (بصائر ذوي التمييز): «معظمُ مقصود السُّورة: ذكر القَسَم بحقِّيَّة البعث والقيامة، والإشارة إلى عذاب أَهل الضَّلالة، وثواب أرباب الهداية، وحُجّة الوحدانيَّة، وكرامة إبراهيم في باب الضِّيافة، وفي إسحاقَ له بالبشارة، ولقوم لوطٍ بالهلاكة، ولفرعون وأهلِه من الملامة، ولعاد وثمودَ وقوم نوحٍ من الدَّمار والخسارة، وخَلْق السّماءِ والأرض للنَّفع والإفادة، وزَوْجيَّة المخلوقات؛ لأجل الدَّلالة، وتكذيب المشركين لما فيه للرَّسول ﷺ من التسلية، وتخليق الخَلْق لأجل العبادة، وتعجيل المنكرين بالعذاب والعقوبة»[(٢)].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٧/ ٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي (١/ ٤٣٩)، تحقيق محمد النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م.

وهو سردٌ لجُلِّ مواضيع السُّورة - كما هو ظاهر - ولم يتعرَّض للمقصَد الأهَمِّ فيها.

ومثله في ذلك ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «احتوت على تحقيق وُقوع البعث والجزاء، وإبطال مزاعم المكذِّبين به وبرسالة محمد ﷺ، ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبُّت، ووعيدهم بعذاب يفتِنُهم، ووعد المؤمنين بنعيم الخُلد، وذكر ما استحقُّوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان، ثم الاستدلال على وحدانيَّة اللَّه، والاستدلال على إمكان البعث، وعلى أنه واقعٌ لا محالة، بما في بعض المخلوقات التي يشاهدونها ويحسُّون بها دالَّة على سَعةِ قدرة اللَّه تعالى وحكمتِه على ما هو أعظم من إعادة خلق الإنسان بعد فنائه، وعلى أنه لم يُخلق إلا لجزائه.

والتعريض بالإنذار بما حاق بالأُمم التي كذَّبت رُسُلَ اللَّه، وبيان الشَّبَه التامِّ بينهم وبين أولئك، وتلقين هؤلاء المكذِّبين الرجوعَ إلى اللَّه، وتصديقَ النبي ﷺ ونبذَ الشرك، ومعذرة الرسول ﷺ من تَبِعة إعراضهم، والتسجيل عليهم بكفران نعمة الخلق والرزق، ووعيدهم على ذلك بمثل ما حلَّ بأمثالهم»[1].

وسيتَّضحُ في نهاية البحث القولُ الراجح بإذن اللَّه تعالى.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٥).

المبحث الثاني
المسائل النقلية بين يدي سورة الذاريات

بعد المبحث الأول في ذكر أقوال العلماء، ننتقلُ إلى الوسائل العملية في معرفة مَقصَد السُّورة، وهو تنقسم إلى قسمين:

الأولى: المسائل النقلية: قبل الدخول في السُّورة، فهي تحضيرٌ وتمهيدٌ للمرحلة الثانية.

الثانية هي: المسائل العقلية: البحث في نفس السُّورة.

وسنتحدَّث في هذا المبحث عن المرحلة الأولى، وفي المبحث الذي يليه عن المرحلة الثانية.

وينحصر البحث في الوسائل النقلية بخمسة مطالب:

المطلب الأول: زمان نزولها، فهل سورة الذاريات مكِّية أو مدنية؟

سورة الذاريات سورة مكِّية كما قال القرطبي: «في قول الجميع»[(١)]، قال ابن عاشور: «وهي مكِّية بالاتِّفاق»[(٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٩).

(٢) تفسير ابن عاشور (٢٦/ ٣٣٥).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeedalnafi3

والسُّور المكِّية تُخاطِب المشركين والكفَّار الخُلَّص، وتخاطب المؤمنين، وتتحدَّث عن القضايا الكبرى؛ كالتوحيد والبعث والنبوَّة، وتأمُر بكمالات الخُلُق والعقل والفطرة، وتُناقش مشاكلَ الناس عمومًا.

وهذا يُعطينا مُؤشِّرًا أن المقصَد سيتحدَّث عن قضية مشترَكَة لدى الناس، لا تختصُّ بسياسة شرعية، أو مسائل مشتركةٍ مع أهل الكتاب، ولا ردٍّ على منافقين ونحوه.

المطلب الثاني: فضائل سورة الذاريات:

سورة الذاريات ليس لها فضائلُ خاصة، ولكنَّها جاءت في بدايات المفصَّل(١)؛ وقد قال ﷺ: «وفُضِّلتُ بالمُفَصَّل»(٢).

Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
Jadeednafi3

المطلب الثالث: خصائص سورة الذاريات:

السُّورة التي فيها صراحةً ذكرُ سببِ الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ولم يذكر لفظ (الذاريات) إلا بها.

---

(١) واختلف العلماء في بداية المفصل؛ فقيل: (ق)، وهو الأشهر، وقيل (الحجرات)، انظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح(١٦٩٨٢)، وحسنه د إبراهيم السيد في كتابه (الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم دراسة ونقد (ص: ٢٢٤).

المطلب الرابع: أسباب النزول والأحداث التي نزلت فيها سورة الذاريات:

لم أجد سببًا صحيحًا لنُزول سورة الذاريات أو بعض آياتها، وقد أخرج الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤] قال: «ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية، اشتدَّ على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ورَأَوا أن الوحيَ قد انقطع، وأن العذاب قد حَضَر؛ فأنزل اللَّه تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]»[(١)]، وهو أثر مُرسَل كما هو ظاهر.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المطلب الخامس: أسماء سورة الذاريات:

لم أقف إلَّا على اسم واحد للسُّورة وهو (الذاريات)، وقد «تُسمَّى هذه السُّورة (والذاريات) بإثبات الواو؛ تسميةً لها بحكاية الكلمتَين الواقعتَينِ في أوَّلها، وبهذا عَنْوَنَها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، وابن عطيَّةَ في تفسيره، والكَواشي في تلخيص التفسير، والقرطبي، وتُسمَّى أيضًا (سورة الذاريات) بدون الواو، اقتصارًا على الكلمة التي لم تقع في غيرها من سور القرآن، وكذلك عَنْوَنَها

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢١/ ٥٥٢) تحقيق د عبد اللَّه التركي، دار هجر.

الترمذي في جامعه، وجمهورُ المفسِّرين، وكذلك هي في المصاحف التي وقفنا عليها من مشرِقيَّةٍ ومغربيَّةٍ قديمة.

ووجهُ التسمية: أن هذه الكلمة لم تقع بهذه الصِّيغة في غيرها من سُوَر القرآن»[١].

وهي الرياح التي تَنشُر الرزق بأمر اللَّه تعالى كما سيأتي.

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٥).

المبحث الثالث
المسائل العقلية (الاجتهادية) في سورة الذاريات

وهي خمس خطوات عملية تُعيْن على الوقوف على مَقصَد سورة الذاريات:

١- مناسبة سورة الذاريات لما قبلها وما بعدها.

٢- مَطلِع سورة الذاريات.

٣- الكلمات المكرَّرة في سورة الذاريات.

٤- خاتمة سورة الذاريات.

٥- موضوعات سورة الذاريات، وتقسيمُها لمقاطِعَ، ومعرفة المناسبة بينها، والاطِّلاع على تفسير سورة الذاريات في أُمَّهاتِ كُتُب التفسير.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed An-Nafi3 Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

وهذا هو تفصيلها:

المطلب الأول: مناسبة سورة الذاريات لما قبلها وما بعدها:

قبلها سورة (ق)، وهي سورة مكِّية تكشِف عن شبهةِ إنكار البعث، والردِّ عليها بالأدلَّة العقلية، وهذه السُّورة مكمِّلة لسورة (ق)، حيث إن مِن أعظم موانع الإيمان بالبعث: التعلُّق بالأرزاق، والبحث عنها،

والسَّعيُ خلفَها، والانشغال بها، فجاءت السُّورة وافيةً في بيان أن الرزق بيد اللَّه، وأنه في السَّماء، وأن غاية الخلق هي: العبادة، وليس البحث عن الزرق، بل هو مكفول.

المطلب الثاني: مَطلِع سورة الذاريات:

«القَسَم المُفْتَتَحُ به مُرادٌ منه تحقيق المُقسَم عليه، وتأكيدُ وقوعه، وقد أقسم اللَّه بعظيم من مخلوقاته، وهو في المعنى قسَمٌ بقُدرته وحكمته، ومتضمِّن تشريفَ تلك المخلوقات بما في أحوالها من نِعَم ودلالة على الهدى والصلاح، وفي ضمن ذلك تذكيرٌ بنعمة اللَّه فيما أوجد فيها.

والمُقْسَم بها: الصِّفات تقتضي موصوفاتها، فآل إلى القَسَم بالموصوفات لأجل تلك الصِّفات العظيمة، وفي ذلك إيجازٌ دقيق، على أن في طَيِّ ذكر الموصوفات توفيرًا لما تُؤذِن به الصِّفات من موصوفات صالحة بها؛ لتذهبَ أفهامُ السامعين في تقديرها كلَّ مَذهب ممكِن، وعطفُ تلك الصفات بالفاء يقتضي تناسُبَها وتجانُسَها، فيجوز أن تكون صفاتٍ لجنس واحد، وهو الغالب في عطف الصِّفات بالفاء»[(١)].

فبدأت السُّورة بالقسم بأوصافٍ تَصلُح لعِدَّة أمور، لذلك اختُلف في معناها.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٧).

قال ابن عاشور: «واختلف أئمَّة السلف في محمَل هذه الأوصاف وموصوفاتها؛ وأشهر ما رُوي عنهم في ذلك: ما رُوي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، ومجاهد، أن (الذاريات): الرِّياح؛ لأنها تَذْرُو التُّراب، و(الحاملات وِقرا): السَّحاب، و(الجاريات): السُّفن، و(المقسِّمات أمرا): الملائكة، وهو يقتضي اختلافَ الأجناس المُقسَم بها.

ومن المُفسِّرين مَن جعل هذه الصِّفات الأربع وَصْفًا للرياح؛ قاله في (الكشَّاف)، ونقل بعضه عن الحسن، واستحسنه الفخرُ، وهو الأنسب لعطف الصِّفات بالفاء، فالأحسن أن يُحمَلَ الذَّرْوُ على نشرِ قطع السَّحاب نَشْرًا يُشبه الذَّرْوَ»(١).

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob.: 1965 67644426
jadeednafi3

المطلب الثالث: الكلمات المكرَّرة في سورة الذاريات:

أكثر الكلمات تكرُّرًا هي كلمة (رزق)، وهي على النحو التالي:

١- ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

٢- ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

وفيها إشارةٌ ظاهرة لمقصَد السُّورة.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٣٨).

المطلب الرابع: خاتمة سورة الذاريات:

قال تعالى في خاتمة السُّورة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٦٠].

وهذه الخاتمة كالتلخيص لمعاني السُّورة، التي تُبيِّن أن غاية الخلق هي العبادة، وليس مُلاحقةَ الرِّزق المكفول، فمن ظَلَم نفسه بالإعراض عن هذه الحقيقة، وكفر بترك الغاية الكبرى؛ فله عذابٌ عظيم.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: +965 67744126
jadeednafi3

المطلب الخامس: مقاطع سورة الذاريات وموضوعاتها:

السُّورة فيها سبعةُ مقاطع متَّصِلة المعنى -في تقديري-:

الأوَّل: قوله تعالى:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

أوَّل السُّورة قَسَمٌ بهذه الموصوفات - وهي الرِّياح والسَّحاب والسُّفن

والملائكة- بأن يوم الحساب واقعٌ لا محالة، ثم أقسم سبحانه بالسماء المُحكَمة الخَلْق ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ بأنهم في قول غيرِ مُحكَم، ومختلِفٌ في اعتقادهم بيوم الحساب، وبيَّن أنه سيكون يومًا عظيمًا على من أنكره وتحدَّى باستعجاله(١).

الثاني: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed An-Nafi3 for Publication & Distribution
جوال - شارع المثنى - المجمع الأزرق - محل رقم ٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

في هذه الآيات بيانُ مآل المتَّقين المؤمنين بيوم الدِّين في جنَّات النعيم، وذكر لهم صفة إجمالية وهي: الإحسان- ويشمل الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان في معاملة الخلق-، ثم فصَّلها بثلاث صفات:

١- الصلاة بالليل.

٢- الاستغفار لا سيَّما في الأسحار، والتنصيص على هذا الوقت الذي يَغفُل فيه الكثيرون دليلٌ على أنهم يستغفرون دائمًا.

٣- الصدقة.

والنصُّ على هذه الصفات الثلاث بالذَّات يدلُّنا على مَقصَد السُّورة؛

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٩)، تفسير الماوردي (٤/ ١٧٣).

لأن هذه الصِّفات الثلاثَ من أعظم الأعمال التي تُوسِّعُ الرزق.

فالصلاة قال تعالى فيها: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، فقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني إذا أقمتَ الصلاة، وأمرتَ أهلك بها، وممَّا يشير إلى ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] فلولا مداومة مريم عليها السلام على صلاتها في المحراب لما نالت هذا الرِّزقَ الذي دُهِشَ منه زكريا عليه السلام.

والاستغفار قال فيه تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢]، وقال ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جَعَلَ اللَّهُ له مِن كلِّ ضِيقٍ مَخرَجًا، ومِن كلِّ همٍّ فرَجًا، ورَزَقَه مِن حيثُ لا يَحتَسِبُ»(١).

jadeednafi3

والصدقة قال فيها تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فنصَّ على الصفات الأكثرِ جَلْبًا للرِّزق، قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله –

(١) أخرجه أبو داوود في السنن ح(١٥١٨)، وابن ماجه ح(٣٨١٩)، وصححه الأرنؤوط في تحقيق أبي داود

مُتلمِّسًا هذا المعنى من الآيات-: «أربعة تَجلبُ الرِّزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهدُ الصدقة، والذِّكر أوَّلَ النهار وآخرَه»[١].

الثالث: قوله تعالى:

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾.

في هذه الآيات يُبيِّن تعالى بعضَ آياته في الآفاق الدالَّة على رُبوبيَّته، ثم أخبر خبرًا قاطِعًا بأن الرِّزق مَبدَؤُه ومنتهاه في السَّماء عنده سبحانه، وقدَّم الجارَّ والمجرور (في السماء) للدلالة على الحَصْر، ثم أقسَم على ذلك قَسَمًا عظيمًا، ليس بشيء من مخلوقاته، بل بذاته سبحانه، ولزيادة التأكيد شبَّهَه بشيء لا يَشُكُّ النَّاسُ فيه أبدًا؛ وهو نطقُهم وكلامُهم ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[٢]

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

الرابع: قوله تعالى:

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٧٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٧٥)، تفسير البغوي (٤/ ٢٨٤) طبعة إحياء التراث.

ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

في هذا المقطع ذكرُ قِصَّة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه، وفيه بيانُ صفةٍ من أعظم الصِّفات التي يُنال بها الرِّزق؛ وهي صفة الكرم، حيث قدَّم إبراهيمُ عليه السلام لضيوفه القليلِ الذين لا يعرفُهم عِجلاً سمينًا، مع أن العِجْل يكفي لأكثرَ من خمسين شخصًا(١).

فالكريم مَرزوقٌ؛ لأنه قائمٌ بأمر اللَّه تعالى في إكرام الضيف، ولأنه مُحسِنُ الظَّنِّ بربِّه بالعِوَض.

ومن دروس القِصَّة: هذا الرِّزق المفاجِئ الذي جاء إبراهيمَ وزوجَه، فقد رزَقَهما اللَّهُ تعالى ولدًا بعد طُول عُمُر، وكِبَرِ سِنٍّ، ووَهَنِ عَظْمٍ، فلا يأسَ من فضل اللَّه ولو انقطَعَت أسبابُه الظاهرة.

الخامس: قوله تعالى:

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ

(١) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠١)، تفسير ابن عطية (٥/ ١٧٧).

مَجۡنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

في هذه الآيات حديثٌ عن الأُمَم المكذِّبة للرُّسُل، وكيف كان عاقبةُ أَمرِها خُسرًا، ومن الدروس فيها: بيان عظيم أثر المعصية في حرمان الإنسان حتى من الحياة، وتعجيل عقوبة اللَّه تعالى[1].

ومن دُرُوسها أن الرِّزق ليس نوعًا واحدًا، فهناك رزقُ المال، وهناك رزق الإيمان، ورزق العافية.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
New Useful for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

السادس: قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٧١)، تفسير القرطبي (١٧/ ٤٩).

في هذه الآيات يُبَيِّن سبحانه بعضًا من آياتِه ودلائل قُدرته، فالسَّماء بناها ووسَّعها، والأرض فَرَشها ومَهَّدها، وخلق الأزواجَ كلَّها، ومَنْ كان كذلك فهو المُستحِقُّ للعبادة، بأن نفِرَّ من كل شيء إليه سبحانه، ولا نكون كالأُممِ الغابرة التي جعَلَت مع اللَّه إلهًا آخر، وكذّبت الرسل(١).

السابع: قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

في هذه الآيات الأخيرة في هذه السُّورة العظيمة، بيَّن اللَّه تعالى سببَ الخلق وهو العبادة، وأشدَّ ما يَشغَلُ النَّاسَ عنه وهو طلب الزرق، فبيَّن سبحانه أنه مكفولٌ، ثم بيَّن سبحانه عاقبةَ من انشغل بالمكفول عن المطلوب، فإنه له من العذاب مثلُ ما للسَّابقين(٢).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ١٥٠)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣١٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٦)، تفسير الجلالين (ص: ٦٩٣).

المبحث الرابع
الراجح في مقصد سورة الذاريات

بعد أن طوَّفنا في هذه السُّورة العظيمة، وكلام العلماء فيها، ومعرفةِ المسائل النقلية والعقلية في هذه السورة؛ يتَّضح بأن مقصَد السُّورة هو:

بيان قضية الرزق، وأنها بيَدِ اللَّه تعالى وحدَه؛ لقطع أهمِّ ما يمنَعُ الإنسان من الإيمان، وهي الانشغال بالبحث عن الأرزاق، لذلك ما جاء في كتاب (المختصر في التفسير) هو الراجح في نظري؛ حيث قالوا عن مقصَد هذه السُّورة: «تعريفُ المخلوقين بمصدر رزقِهم وهو اللَّه تعالى؛ لكي يفِرُّوا إليه، ويُحقِّقوا العبُوديَّة له»[(١)].

واللَّه أعلى وأعلم.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

(١) المختصر في التفسير (ص: ٥٢٠)، من إصدارات مركز تفسير، الرياض.

الخاتمة

بعد أن طوَّفْنا في هذا الموضوع الماتع من مواضيع التدبُّر، نَصِلُ إلى خاتمة هذا البحث، وسأذكر إن شاء اللَّه ﷻ أهمَّ النتائج والتوصيات:

١- أهمُّ النتائج: إثبات أنَّ لكلِّ سورة من القرآن مَقصَدًا.

٢- مقاصد السُّور من أعظم أبواب التدبُّر.

٣- مقاصد السُّور من العلوم الاجتهادية.

٤- مقصَد السُّورة قد يكون واضحًا للجميع، وقد يحتاج إلى بَذلٍ واجتهاد لمعرفته.

٥- أُوصي بحَصْر جميع كلام العلماء على المقاصد، للوصول إلى أقوال متقارِبة في مَقصَد كلِّ سُورة.

٦- أُوصي بمزيدِ البحث في موضوع مقاصد السُّور، فلا زال مجالُ البحث فيه رَحْبًا.

وفي ختام هذا البحث أسأل اللَّه سبحانه أن يجعله لَبِنَةً في تأصيل هذا العلم المبارك، وأن يُخْلِص النية ويُصْلِح الأعمال ويبارك في الأعمار.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
الكويت - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

قائمة المحتويات

* **المقدمة** ٥
* **التمهيد: التعريف بعلم مقاصد السور (الماهية والتصور)** ١١
- المبحث الأول: اسم العلم وتعريفه ١٣
- المبحث الثاني: المصطلحات القريبة ١٧
- المبحث الثالث: موضوع علم مقاصد السُّور ٢١
- المبحث الرابع: مسائل هذا العلم ٢٢
- المبحث الخامس: استمداد هذا العلم ٢٣
- المبحث السادس: نسبةُ علم مقاصد السُّور إلى العلوم ٢٣
- المبحث السابع: بين علم مقاصد السور وعلم مقاصد الشرع ٢٤
* **الفصل الأول: تاريخ هذا العلم وتأصيله** ٢٧
- المبحث الأول: الواضع لهذا العلم ٢٩
- المبحث الثاني: الكتب المؤلَّفة فيه ٣٧
- المبحث الثالث: أدلة مشروعيته ٤٣
أوَّلاً: من القرآن الكريم ٤٣
ثانيًا: ما جاء في السُّنة في الإشارة إلى مقصَد السُّور، مثل ٤٦
ثالثًا: ما جاء عن الصحابة في ذكر مقصد السورة، ومنها ٤٩
رابعًا: ما جاء عن السلف من الصحابة والتابعين في ذكر اسم آخر للسُّورة ملاحظٌ فيه مقصَدُها ٥٣

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob: +965 67644426
jadeednafi3

خامسًا: حديث التابعين عن مقاصد السُّور ٥٣
سادسًا: الأدلَّة العقلية ٥٤
سابعًا: توافُق العلماء على إقرار هذا العلم وتأصيله، ومن ذلك . ٥٨
ثامنًا: نصَّ العلماء على مقصَدِ بعض السُّور وموضوعها وتطبيقه
بما يشبه الإجماعَ السكوتي ومن ذلك ٦٠
- المبحث الرابع: أهمية هذا العلم ٦٣
- المبحث الخامس: ثمرة علم مقاصد السُّور ٧٠
* **الفصل الثاني: الوسائل المُعِينة على معرفة المقاصد** ٧٣
- المبحث الأول: ضوابط ومعايير معرفة مقصَد السُّورة ٧٥
- المبحث الثاني: حصر كلام العلماء ٧٨
- المبحث الثالث: الوسائل المعينة على معرفة مقصد السُّورة ٨٥
المطلب الأول: الوسائل المعنوية ٨٥
١- صدق الإيمان بالقرآن ٨٥
٢- الإخلاص ٨٦
٣- الدعاء ٨٦
٤- المعايشة وطول التأمُّل ٨٦
المطلب الثاني: الوسائل العملية ٨٨
أولا: المسائل النقلية ٨٨
١- زمان نزول السُّورة ٨٨
٢- فضائل السُّورة ٨٩
٣- خصائص السُّورة ٩٠

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

٤- أسباب النزول والأحداث التي نزلت فيها السُّورة ٩٠
٥- أسماء السُّورة ٩١
ثانياً: المسائل العقلية (الاجتهادية) ٩٢
١- مناسبة السُّورة لما قبلها وما بعدها ٩٢
٢- مَطلِع السُّورة ٩٢
٣- الكلمات المكررة في السُّورة ٩٣
٤- خاتمة السُّورة ٩٣
٥- موضوعات السورة ومقاطعها ٩٤
* **نموذج تطبيقي: مقصد سورة الذاريات** ٩٧
- المبحث الأول: أقوال العلماء في مقصد سورة الذاريات ٩٩
- المبحث الثاني: المسائل النقلية بين يدي سورة الذاريات ١٠٤
المطلب الأول: زمان نزولها، فهل سورة الذاريات مكِّية أو مدنية؟ ١٠٤
المطلب الثاني: فضائل سورة الذاريات ١٠٥
المطلب الثالث: خصائص سورة الذاريات ١٠٥
المطلب الرابع: أسباب النزول والأحداث التي نزلت فيها سورة الذاريات ١٠٦
المطلب الخامس: أسماء سورة الذاريات ١٠٦
- المبحث الثالث: المسائل العقلية (الاجتهادية) في سورة الذاريات .. ١٠٨
المطلب الأول: مناسبة سورة الذاريات لما قبلها وما بعدها ١٠٨
المطلب الثاني: مَطلِع سورة الذاريات ١٠٩

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Jadeed Al-Nafi3 for Publishing & Distribution
Mob. +965 67644426
jadeednafi3

المطلب الثالث: الكلمات المكرَّرة في سورة الذاريات ١١٠
المطلب الرابع: خاتمة سورة الذاريات ١١١
المطلب الخامس: مقاطع سورة الذاريات وموضوعاتها ١١١
- المبحث الرابع: الراجح في مقصد سورة الذاريات ١١٨
- الخاتمة ١١٩
- فهرس المصادر ١٢٠
- قائمة المحتويات ١٢٠

الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
تم الصف والإخراج
بمؤسسة الجديد النافع
حولي - شارع [illegible] محل رقم ١٤
هاتف: ٢٢٥٤١٠٤٤
Mob. +965 67044426
jadeednafi3